

روايات مصرية الجيب



أسطورة

44

رجل بكين

ما وراء الطبيعة



ما وراء الطبيعة

روايات تحسيس الأنفاس

من فرط الغموض والرعب والإثارة

روايات همزة الجيب

أسطورة رجل بكين

لقد فتح (جوياما)

الأحمق الصناديق .. فما

الذي رآه بالضبط ؟ ما الشيء

الذي جعله يجن ذعرًا ، ويغادر

المعبد ، ويغمد سيفًا في بطنه ؟!

هل يمكنك أن تجيب عن هذا

السؤال يادكتور (رفعت) ؟!

٢٠٠٠٨٣



د. أحمد خالد توفيق



العدد القادم :

أسطورة بيت الأفاعي

المؤسسة العربية الحديثة

طباعة ونشر
للمطبوع والنشر والتوزيع
TAWFIK - EGYPT
القاهرة - مصر

التمن في مصر ٢٠٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

44

روايات مصرية للجيب

•
ماورا، الطبيعة

أسطورة رجل بكين

روايات مصرية للجيب

هاورا، الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

مصنّف مصرى مائة فى المائة
لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

إشراف

الأستاذ/ حمادى مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للناسر
وكل اقتباس أو تقليد أو تزيف
أو إعادة طبع بالتزوير يعرض
المرتكب للمساءلة القانونية .

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - المطابع ١٠، ٨ شارع ٧ المنطقة الصناعية
بالحساسنة - منافذ البيع ١٠، ١٦ شارع كامل صبرى الفجالة - شارع الإسحاقى بمنشية الهكرى روكسى
مصر الجديدة - القاهرة ت: ٢٨٢٣٧٩٢ - ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ فاكس - 202/2596650 ج.م.ع.

أسطورة رجل بكين

بقلم :
د. أحمد خالد توفيق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥ - ٢٨٦١٩٧

فاكس : ٢٨٣٧٠٠٢

مقدمة

لماذا تتحرك الظلال فى الردهة ؟

لماذا تتحرك الظلال بالذات حين تكون شيخاً
فانياً ، وحين تكون وحيداً ، وحين تجلس ليلاً
لتكتب مذكراتك على ضوء مصباح واهن ؟

لماذا تتحرك الظلال فى الردهة ، حين يكون
الصراخ غير ذى نفع ، وحين يكون الجيران قد
ناموا ، والليل نفسه قد نعس ، ويكون الهاتف
معطلاً كالعادة ؟

لماذا تتحرك الظلال فى الردهة ، حين تكون فى
غرفة مكتبك .. حيث السبيل الوحيد للخروج من
الشقة هو الردهة ذاتها !!؟

لماذا تتحرك الظلال فى الردهة ، بينما أنت
- ببساطة - لا تريد ذلك ؟

كلها أسئلة بلا جواب كالعادة ..

إحدى الإجابات المحتملة أنهم قد جاءوا من
أجلك .. من هم ؟ لا يهم .. فهم كلهم يتشابهون ،
ويفعلون نفس الأشياء ..

إحدى الإجابات المحتملة أنك قد صرت شيخاً
مخرفاً ، وأن حياة الوحدة والأشباح قد أصابتك
بالبارانويا ، وهى الثمرة الوحيدة الموجودة فى
حديقة ذكريات من عاشوا حياتى .

إنه احتمال قوى ومريح ، ويطمئننى كثيراً ..
دعونا من ظلال الردهة ، ولنتجاهل سببها
مؤقتاً .. لو أضعنا وقتنا على كل ظل يتحرك فى
الردهة فلن نجد وقتاً كافياً لشيء آخر ..

اليوم نلتقى و (هن - تشو - كان) الذى غاب
عنا منذ الكتيب الرابع عشر (*) .. إنه هنا معنا ،

(*) يخيل إلى أن مراجعة الكتيب (١١) والكتيب (١٤) ستجعل
الأمر أفضل نوعاً !

ومعنا قصة كابوسية عن شيء ما وجدته الأمريكيون
عام ١٩٣٧ .. ومعنا الدكتور (رفعت إسماعيل)
الكهل الذى يحاول - برغم كل شيء - أن يحتفظ
بجسده كاملاً قطعة واحدة ..

هل أنتم جميعاً هنا ؟

هل عيونكم متسعة ، وآذانكم مرهفة ، ورءوسكم
دانية منى ؟

إذن .. فلنبداً ..

★ ★ ★

« عندما تغرب الشمس ، وتلطف

دماؤها ثوب المساء الأزرق ..

عندئذ يبدأ فجر (النافاراي) »

١- مهمة سرية جداً ..

السبت ٦ ديسمبر عام ١٩٤١ ..

الساعة الثامنة مساءً ..

يقف (جيمس ثورنوايلد) قائد الفرقاطة
الأمريكية (إيليت) على ظهر فرقاطته ، يرمق
المياه الثائرة فى قلق ..

ينظر إلى ساعته .. الثامنة ؟ كل هذا الوقت
يضيع فى هراء لا أول له ولا آخر ، والمفترض
أن يكونوا الآن فى قلب المحيط الهادى ، بعيداً عن
هذه الأرض التى تنذر بالويل فى كل دقيقة ..

كانت التعليمات التى أعطيت له غامضة ، وهو يمقت
التعليمات الغامضة بشكل خاص .. إنه يتحرك فى
الظلام ، ولا يعرف بالضبط نوعية الخطر الذى

يتهدد هذه الرحلة إن كان هناك حقاً خطر ما ..
كان يعرف فقط أن الخطر يابانى ، وأن هؤلاء
الـ (جابس) - كما يدللون اليابانيين - راغبون
بشدة فى الشحنة التى يحملها .. لماذا ؟ هل هى من
الذهب ؟ هل هى لوحات ثمينة أو قنابل أو .. ؟

لم يخبره أحد ، ولا يبدو أنهم سيخبرونه حتى
بعد انتهاء المهمة ..

صاح فى (جاكسون) مساعده الأول :

- « هل تم كل شىء ؟ »

- « آى آى يا سيدى .. لقد نقلنا كل شىء

إلى قاع الفرقاطة .. »

- « وهل الصناديق مؤمنة ؟ سنلقى كثيراً من

الاهتزازات .. »

- « البحارة ينتهون من ربطها يا سيدى .. »

- إذن .. فلنعد أدرأجنا الآن .. »

وتتهد فى ارتياح ، وأصدر أوامره برفع المرساة
وتشغيل المحركات .. وبدأت الفرقاطة تستدير بادية
رحلتها الرهيبة عبر المحيط الهادى ..

★ ★ ★

كانت الحرب العالمية الثانية فى أوج مجدها ،
وكان (هتلر) عاكفًا على ابتلاع أوروبا قطعة
قطعة ، وقذائفه تهوى فوق يافوخ البريطانيين فى
كل مكان .. لكن أمريكا لم تكن طرفًا فى هذه
الحرب على الإطلاق .. حتى الآن ..

لقد انزوى العملاق الأمريكى على نفسه وراء
المحيط الأطلنطى ، وسدّ أذنيه كى لا يسمع صوت
القنابل والصرخات ، وكى لا يسمع (تشرشل)
يصيح من (بريطانيا) : لا بد أن تدخلوا الحرب !
إن دوركم آت لا محالة !

وكانت اليابان قد غزت الصين عام ١٩٣٧ ، لكن
لم يحدث ما يورط الأمريكيين فى الحرب ، وظلّ
أسطولهم يمارس حياة هادئة نسبياً فى المحيط
الهادئ ، وفى مرافئ (هاواى) و (هونولولو)
الجميلة الودود ..

لم يكن (ثورنوايلد) يحب اليابانيين ولا الصينيين ..
بالأحرى كان يشعر باشمئزاز منهم ، وبأن عيونهم
الضيقة عيب خلقى يدلّ على الغباء ..

لكن التعليمات صدرت له بأن يدنو بفرقاطته من
ساحل الصين ، عند ذلك الخليج الذى تلامس فيه
حدودها حدود (منشوريا) .. وعليه أن ينتظر حتى
تصل بضعة قوارب تحمل صناديق خشبية معينة ..
سيكون عليه أن ينقلها إلى (هاواى) بحالة
ممتازة ، وعليه ألا يفتح أى صندوق ، أو يجيب
عن أية أسئلة يوجهها بحارته ..

- « أجيب ؟ » - قالها فى اشمئزاز - « أجيب

عن أى شىء بالضبط ، وأنا لا أملك أدنى تصور
عن محتوى تلكم الصناديق ؟ »

لكنه خَمَن أن محتوى الصناديق شىء يريد
الصينيون أن يبعده عن يد اليابانيين .. شىء
قادم من (تشوكوتيان) قرب (بكين) ..

أخيرًا - فى ضوء الغروب - رأى القوارب ،
ورأى بحارتها الصينيين شديدى السقم والنحول ،
والذين فتك الأفيون بصحة أكثرهم ..

وكانت الصناديق تحمل بالفعل عبارات بالصينية ،
لكنه استطاع أن يقرأ اسم (تشوكوتيان) بحروف
لاتينية على كل صندوق .. وكانت مغلقة بغاية ، وقد
تم لفها بشرائط من (الألومنيوم) مع توزيع الشمع
الأحمر بغاية للتأكد من أن أحدًا لن يفتح شيئًا ..
وكما قلنا آنفًا ، انتهت عملية التحميل نحو

الثامنة مساءً ، واستطاع (ثورنوايلد) أن يصدر
أوامره لرجاله بالإقلاع ..

★ ★ ★

وفى الثامنة من صباح اليوم التالى هاجم اليابانيون
الأسطول الأمريكى فى (بيرل هاربور) ..

إن من شاهدوا فيلم (تورا-تورا-تورا) (*) يعرفون
كل تفاصيل هذا الهجوم المباغت الغادر ؛ البطولى
برغم كل هذا ..

إن اليابانيين بطيارهم الانتحاريين ، وطائرات
(زيرو) الشبيهة بلعب الأطفال الزنبركية ؛ قد
تمكنوا فى ذلك اليوم من إغراق أربع قطع عملاقة
أمريكية ، وعطلوا أربعاً غيرها ..

لقد تلقت الولايات المتحدة ضربة قاصمة لم
تستطع نسيانها قط ، ويمكن القول عملياً إن الحرب
بدأت وقد فقدت أسطولها ..

(★) نمر .. نمر .. نمر .. باليابانية .

هذه قصة طويلة ، لكن ما يعيننا منها هو موقف الكابتن (ثورنوايلد) ورجاله حين سمعوا الأخبار الرهيبة فى ذلك الصباح ..

يجب أن نقول هنا إنهم لم يعرفوا شيئاً حتى الظهيرة ، وحين نجحوا فى التقاط بعض موجات الراديو .. لم يكن أحد يتحدث إليهم أو عنهم ..

من الواضح أن الصدمة أفقدت الجميع توازنهم ، ولبعض الوقت نسوا كل شىء عن الفرقاطة (إيليت) ..

كان شعور الرجال مريراً ، وعلى شفاههم كان للهزيمة مذاق أشدّ ملوحة من مياه البحر ذاتها .. لقد فقدنا أسطولنا وخيرة بحارتنا ..

والمشكلة هى : هل نعود إلى (هاواى) أم ماذا ؟ لقد صار المحيط الهادى كله خطراً داهماً الآن ، والأسطول اليابانى يجول فيه بحرية كاملة .. حرية البلطجى الذى لم يعد هناك من يقف فى طريقه ..

ماذا لو قابلنا اليابانيون ؟ ماذا لو فوجئنا بسرب
من طائرات (زيرو) التى يفضل طياروها الدخول
بالبطائرة فى قلب الهدف ، بدلاً من التصويب عليه ؟
لأجواب سوى أن نستمر فيما نفعله الآن ..
نبحر ..

★ ★ ★

كان (ثورنوايلد) منهمكاً فى تفاصيل مهمته
الخطرة ..

وعندما يكون الخطر واقعياً وملموساً ، يغدو
الاهتمام بتفاهات البحارة شيئاً مترقفاً لا وقت له ..
نوعاً من تبديد الطاقات فى هراء ..

مثلاً حين يتحدثون عن أصوات غريبة تنبعث
من الصناديق الموجودة فى قاع الفرقاطة ..

مثلاً حين يتحدثون عن الجو المشئوم الرهيب

الذى شعر به جميع ركاب الفرقاطة ، بمن فيهم
(ثورنوايلد) نفسه ..

مثلاً حين يتساءلون عن قطرات السائل الأخضر
التي تتساقط من أحد الصناديق بالذات ..

حين كانوا يثرثرون فى أمور كهذه ؛ كان القائد
يأمرهم بالصمت ، وبأن يكفوا عن لعب دور الدجاج
المذعور .. إن اليابانيين خطر داهم حقيقى ..
أما ما يتكلمون عنه فنوع من أحاديث النسوة
العجائز فى القرى ..

وكان يدرك أن مغنوياتهم فى الحضيض الآن ..
قطعة من الأسطول المهزوم المحطم تحاول اللحاق
بزميلاتها .. لابد أن هذا الإحباط قد ألقى بذوره
السامة فى مخيلاتهم .. وهو على كل حال سينفذ
مهمته سواء أرادوا أو لم يريدوا .. لن يلقى
الصناديق فى البحر استجابة لهؤلاء المخابيل ، وهم

لن يتمردوا طبعًا .. إنها قطعة من الأسطول
الأمريكي ، وليست سفينة (كريستوفر كولومبوس)
المتجهة إلى حافة العالم ..

★ ★ ★

وفي ٨ ديسمبر أعلنت الولايات المتحدة دخول
الحرب ضد اليابان .. كان هذا بناءً على ضغوط
من أعضاء الكونجرس على الرئيس الأمريكي ..

وكان هذا يوم سعد بالنسبة لـ (تشرشل) الذى
كان يتحرق إلى أن يضمّ ذلك الحليف القوى ، ذا
الموارد البكر ، إلى صفه ..

لكن كان على الولايات المتحدة أن تفقد الكثير على
رقعة شطرنج المحيط الهادئ فى البداية .. وراحت
الجزر تسقط تباعًا ، والقوات الأمريكية تتراجع
أمام الأتزام الصفر الذين لا يخافون الموت ..

وعند غروب شمس الثامن من ديسمبر - وهو

غروب مبكر طبعًا - هوت أولى القذائف جوار
الفرقاطة (إيليت) ..

وحين تفحص (ثورنوايلد) الأفق ، استطاع أن
يرى ثلاث قطع من الأسطول اليابانى تطارده
بسرعة تفوق سرعته ..

ولدى انفجار القذيفة الثانية ، قرر الرجل أن
الاستسلام هو الحل الوحيد بدلًا من تدمير سفينته
وإغراق رجاله فى قتال لا جدوى منه ..

رفعوا العلم الأبيض ، وأرسلوا إشارات ضوئية
تعلن استسلامهم ، وبعد قليل جاء زورقان يابانيان
لنقل الرجال إلى أكبر السفن اليابانية الثلاث ..

ها هو ذا يصعد إلى سطح السفينة ، ليرى قبطانها ..
يؤدى له التحية العسكرية وكذا يفعل اليابانى ..
سيعرف فيما بعد أن اليابانى هو الكومندور
(ميتسو جوياما) ..

قال (ثورنوايلد) لآسره اليابانى الذى كان يتكلم
بعض الإنجليزية :

- « أرجو أن تُعنى برجالى .. إنهم جنود
شجعان .. »

قال (ميتسو جوياما) بنبرة غليظة :
- « هؤلاء لم يعودوا رجالاً .. إنهم مجرد
أسرى ! »

وهو ما سيسمعه الجنود الأمريكيون والبريطانيون
مراراً خلال هذه الحرب .. إن اليابانى يحتقر
الأسرى ويراهم جبناً .. ولو كانوا أكثر شجاعة
لفضلوا الموت على ذل الأسر .. الجندى الشجاع
لا يؤسر أبداً ، لكنه ينتصر أو يموت ..

ونتيجة لهذا ؛ سيدرك هؤلاء الأسرى أن معاملة
اليابانيين لهم شبيهة بمعاملاتهم للحيوانات .. إن
أسرى الحلفاء لدى الألمان كانت لهم حقوق ، وكانوا
فى حال لا بأس بها ، أما التعساء الذين أسرهم
اليابانيون فحكاياتهم تملأ الكتب ، وكلها تبعث
الرجفة فى الأوصال ..

سيعرف البحارة الأمريكيون هذا وأكثر ؛ لكن
هذا ليس بالضبط موضوع قصتنا .. إن ما نتكلم
عنه لهو مصير الصناديق التى كانت فى قاع
الفرقاطة(*) ..

للأسف ؛ كانت هذه آخر مرة تتحدث فيها
كتب التاريخ عن تلك الصناديق .. لكن هناك من
وجدها .. وهناك من فتحها .. وهناك من ..
فلنبق معاً .. ولنر ما سيحدث بعد قليل ..

★ ★ ★

(★) القصة التى حكيناها فى هذا الفصل حقيقية تماماً ..

٢- (طوكيو) - (نافاراي) - أشياء أخرى ..

(هن - تشو - كان) من جديد !

هذا فاصل من حياتي ومن معارفي أشك كثيرًا
في أنني عشته .. كاهن (النافاراي) القادم من
(التبت) والقرن السادس عشر إلى عالمي ،
ومعه مشاكل لا قبل لي بها ..

غير أنني قلما احتفظت بحب واحترام لأحد مثلما
احتفظت لهذا الفتى النحيل الصموت ، الذي يملك
من القوة النفسية ما يفوق عشرة رجال ، وقد
سيطرت قوته النفسية على كل عضلة وكل عصب
في جسده .. ثم إنه من القلائل الذين يفعلون ثم
يقولون وليس العكس .. أحياناً يفعل ولا يقول
على الإطلاق .. وهو بهذا يذكرني بكلمات شاعرنا
العربي البليغة :

« بُغَاث الطير أَكْثَرُهَا صِيَا حًا
ولم تصحْ البزاةُ ولا الصقورُ
ضعافُ الأسد أكثرها زئيرًا
وأخطرُها اللواتى لا تزيّرُ »

و (بغاث الطير) هى الضعيف منها .. حقًا لقد
كان (هن - تشو - كان) أسدًا .. وأسدًا خطيرًا
لم يزار يومًا ، وإنما يكتفى بالوثب وتمزيق
ضحاياه ..

★ ★ ★

كانت تلك هى زيارتى الثانية لليابان .. ربما كان
ذلك عام ١٩٧٢ أو لم يكن .. لقد اختلطت التواريخ
فى ذهنى على كل حال .. كنت قد فقدت إصبعين
من قدمى (معنى هذا أننى واجهت الوباء) ، لكنى
لم أكن قد تلقيت قبلة (الطفيل) بعد (معنى هذا
أننى لم أكن قد قابلت الطفيل) .. إذن كان هذا
فى الأعوام الثلاثة الأولى من السبعينات ..

لماذا اليابان بالذات ؟ لا أذكر السبب .. ربما كان
مؤتمراً ما لتضامن الشعوب ، والحدّ من التسلح
النووى .. إذن لا بدّ أنه كان فى السادس من
أغسطس ذكرى قنبلة (هيروشيما) الشهيرة ..
ودورى كان - بالطبع - ضمن الجانب الطبى
للمؤتمر ، لأنّ القنابل الذرية تسبب سرطان الدم
كما تعلم ..

كنت أقيم فى (طوكيو) .. و(طوكيو) هى
العاصمة طبعاً(*) ، وكان تعدادها عشرة ملايين
فى ذلك الوقت .. وكان هذا كافياً لجعلها عاصمة
شديدة الازدحام .. الفكرة هنا هى أن مساحة
اليابان صغيرة جداً ..

إن (طوكيو) مدينة عجيبة متنوعة الأوجه ؛

(*) كلمة (طوكيو) معناها : عاصمة الشرق . وقد صارت

العاصمة من عام ١٨٦٨ م

تارة تجدها غربية جدًا مليئة بناطحات السحب
والمراكز التجارية ودور الترفيه .. يكفى أن تجوب
شوارعها ليلاً لتصاب بـ (ذهول الأضواء) الشهير ؛
وتارة هى ذلك البلد التقليدى العتيق بمعابده وقصور
أمرائه وبيوته المزخرفة الجميلة ..

كل شىء جميل نظيف فى اليابان ما عدا
الطعام ؛ وطعامهم لا يطاق حقاً .. إنه ذلك المزيج
الكريه من السمك النيئ والأعشاب البحرية التى
لا تختلف عن البرسيم كثيراً .. كل هذا غارق فى
صلصة فول الصويا .. هل هناك شىء فى العالم
اسمه (صلصة فول الصويا) ؟!

وعليك أن تحب هذا كله ، وأن تبسم وتتلمظ
وإلا اعتبروك قليل التهذيب ..

ما علينا .. المهم هنا هو أننى قابلت (هن - تشو -
كان) شخصياً ، وفى (طوكيو) ذاتها .. كيف ؟
سأحكى كل شىء ..

★ ★ ★

لم تكن المراسلات قد انقطعت بينى وبين
الفتى ، خاصة فى الأعوام الأخيرة ..

كان يتطور باستمرار ، وصار ينتمى لهذا
العصر بقوة ، كما أن إنجليزيتة صارت على
ما يُرام .. بل وصينيته أيضاً ؛ فهو - كما تعرفون -
كان قد قرر الإقامة فى الصين دائماً .. إنه ليس
صينياً ، وما زال يعتبر الصينيين أولئك الغزاة الذين
احتلوا (التبت) - وطنه - وغيروا عاداته وتقاليده ،
وأرغموا (الدلاى لاما) على الهرب إلى الهند ..
لكن الزمن يتغير ، وقد صار من المحال أن يعود
(التبت) كما كان .. لهذا اندمج مع الصينيين ،
وبشكل لا أفهمه استطاع الحصول على الجنسية
الصينية ..

وكانت آخر أخباره هى انضمامه لفريق من
علماء الحفريات فى (منشوريا) فى الشمال الشرقى
للصين .. إن ما قام به (هن - تشو - كان) فى
حملة رجل الجليد قد رفعت من أسهمه لدى

الصينيين .. ولأسباب عديدة وجدوا أنه مناسب للمشاركة فى الحملات فى البقاع النائية البكر ، وما أكثر البقاع النائية البكر فى الصين !

بعد هذا قال لى إنه ذاهب إلى اليابان فى مهمة معينة لها طابع دراسى ؛ ولم أفهم لكنى أخبرته أننى سأكون فى (طوكيو) فى (أغسطس) القادم .. قال إنه سيحاول الاتصال بى ..

ونسيت كل شىء عن الموضوع كالعادة ، حتى فوجئت بمن يتصل بى فى فندق (دايتشى) بحى (آساكا) ؛ وهو فندق فاخر له طابع غربى ، كنت أقيم به على حساب المؤتمر طبعاً ..

وكان يتحدث خليطاً من الإنجليزية والعربية التى صار يعرفها جيداً كما يعلم القارئ ..

- « وكيف عرفت أننى هنا بالذات ؟ »

قال بطريقة المقتضبة العزوف عن التفاخر :

- « سكرتارية المؤتمر .. قالوا لى إن البروفسور
(إسماعيل) فى فندق (دايتشى) .. »

ودون المزيد من التحيات وعبارات المجاملة ؛
قال :

- « هناك مطعم اسمه (سويهرو) قرب
الفندق .. هل تعرفه ؟ »

- « نعم .. »

- « إذن فلنلتق هناك بعد ساعة .. »

ولهذا تجدوننى جالساً على ركبتيّ فى هذا المطعم ،
حافى القدمين طبعاً ، أشرب الشاي المرّ من
سلطانية خزفية صغيرة .. تجلس أمامى مضيفتان
يابانيتان ترتديان (الكيمونو) وتنتظران أوامرى ..
لست من هؤلاء الذين يجدون راحتهم
أو يستطيعون أن يأكلوا بينما هناك من يراقبهم ..
إن الطعام ينزل بالسمّ فى جوفى وقتها ، لكنها
التقاليد اليابانية التى لا تتزحزح ..



كان قد تغير كثيراً .. من العسير أن تحسبه كاهناً من
(التبت) من القرن السادس عشر لو طلبت رأيي ..

- « إنه (البيزنس) .. ثمة أمور كلفتني إياها
الحكومة الصينية .. »

وجاء النادل فوضع أمامنا عشرات الأكواب
الملأى بالسوائل الحمراء والخضراء والزرقاء ،
والأرز المعجون ، والسمك النيئ .. ثم أعطوا
كلّاً منا عصوين على سبيل التعذيب ..

قال (هن - تشو - كان) وهو يتناول أحد
الأكواب الحمراء :

- « حساء أم الخلول ! هذا يوم سعد ! »

- « حساء أم الخ .. ؟ ! »

وتقلصت أحشائي ، كعادتي منذ جئت إلى
اليابان ..

وهكذا رحت أصغى إليه وهو يتكلم - بندرة كعادته -
ويحكى لى أحداث حياته فى الأعوام السابقة ..

لم يكن هناك الكثير - كما قلنا - لقد عاش صموتاً منعزلاً نائياً عن الحياة الاجتماعية .. مارس تمارينات (النافاراي) بانتظام ، وقرأ كثيراً في كتاب (شوكارا) ، وارتحل إلى (التبت) مرتين أو ثلاثاً بحثاً عن مزيد من آثار (النافاراي) ..

طبعاً لم أمس من طعامي إلا بعض الأعواد الخضراء ؛ أما هو فأكل بشهية من لم يذق حساء أم الخلول من قبل ..

لاحظت إحدى الفتاتين أنني لن أمس طعامي كما هو واضح ، فقدمت لي منشفة مبتلة كي أمسح أناملي ، ثم انحنى والتمعت أسنانها ، وتراجعت إلى الوراء على ركبتيها .. ذكروني أن أجد زوجة يابانية لو اتسع الوقت ، فمن الواضح أنهم زوجات مثاليات ..

ساد الصمت قليلاً ، ثم تباطأت سرعة (هن -

تشو - كان) فى المضغ .. أدركت أنه يفكر فى
عمق ..

قال لى وهو يفتش عن شىء فى جيب سترته :
- « (ريفالت) أنا مسرور للغاية لكونى قابلتك ..
وأين ؟ فى هذا الركن من العالم .. كنت بحاجة
إلى من أثق به كما تعلم .. »
- « أفهم .. أفهم .. »

أخرج مظروفاً كبيراً مغلقاً بإحكام ،
وقال لى :

- « خذ هذا ولا تفتحه .. لا تفتحه إلا إذا لم
أتصل بك خلال أسبوع .. أنا أعرف أنك مؤتمن .. »
والحقيقة ليست كونى مؤتمناً .. بل كونى غير
مهتم على الإطلاق بأسرار هذا الفتى .. لو شاء
أن يقولها فليقلها ، لكنى لن أجهد ذهنى لحظة
واحدة فى التنقيب عنها ..

- « هل هو أمر خطير ؟ »

- « ربما نعم .. وربما لا .. ستعرف كل شيء
خلال أسبوع .. »

ونظر حوله فى حذر ، وواصل التهام السمك
النيئ بعصويه ..

سألته فى حذر مماثل :

- « إلى أين أنت ذاهب بالضبط ؟ »

- « إلى أحد معابد (الشنتو) فى ضواحي
المدينة(*) .. ثمة شيء أبحث عنه ، فلو وجدته
لأنتهى الأمر .. لكنى آمل ألا أجده .. »

ثم بحث عن تعبير مناسب لثقافته (التبتية)
فقال :

(*) (الشنتو) هى الديانة التقليدية فى اليابان .. ديانة عبادة
الشمس وتقديس الإمبراطور .. إلخ .. فيما بعد دخلت البوذية ، وصار
لكل يابانى دينان معًا !

- « أن يتسلل النمر إلى دارك هذا خطر ..
لكن عثورك عليه لن يقلل الخطر ! »
حاولت فهم هذا التعبير الشعري فلم أستطع ..
سألته :

- « هل أنت ذاهب للبحث عن نمر فى
ذلك المعبد ؟ »

- « ربما .. لكنى لا آمل أن أجده ! »
وأشار للفتاة فهرعت إليه بالمنشفة المبللة
إياها .. جفف شفتيه ثم نهض قائلاً :
- « وداعاً أيها الصديق .. سأتصل بك ،
وإلا فلا تنس المظروف الذى معك .. »
وخرج من المطعم باحثاً عن حذائه ..

★ ★ ★

٣- ذيل النمر ..

طبعًا مرّ الأسبوع ولم يتصل بى (هن -
تشو - كان) ..

ظننت هذا مفهومًا للقارئ ، وإلا ما وجدت
القصة أصلاً ..

وهكذا جاء اليوم الذى بحثت فيه فى جيب
سترتى حتى وجدت المظروف إياه ، وقررت أن
أفتحه .. لست - كما قلت - مهتمًا بالأمر ، لكنى
أحب أن أبرّ بوعودى .. هذه من مزاياى القليلة ،
أو لعلها ميزتى الوحيدة اليتيمة ..

★ ★ ★

كان الخطاب بإنجليزية رديئة جدًا ، كالتى

تقروها اليوم فى نشرات الأجهزة الإلكترونية
المصنوعة فى الصين .. يقول الكاهن الأخير :

- « عزيزى (رفعت) :

« آسف لإقحامك فى هذا كله ، وأنا أعرف أنك
ضقت ذرعاً بمشاكلى ؛ لكنى لا أعرف شخصاً آخر
أهلاً للثقة فى (هونشو) ^(*) ..

« حين تقرأ هذا الخطاب ، سأكون غالباً فى خطر
داهم .. عليك أن تستقل سيارة أجرة إلى العنوان
التالى (....) وتساءل عن (تاكيجى - سان) ..
لوقابلته إحك له قصتى ، وإن لم تجده عليك
أن تكتب القصة كلها وترسلها إلى (...) ..

« ليست المهمة شاقة كما ترى ، وبعدها
يمكنك أن تواصل الاستمتاع بسياحتك هنا .

بإخلاص : هن - تشو «

(*) تقع (طوكيو) فى جزيرة (هونشو) ؛ وهذه الجزيرة

تضم أهم المدن اليابانية عامة ..

كان الخطاب غامضاً ، وله ذلك الطابع التأمري
الذى يذكرنى بقصص التجسس .. ترى ما الذى
يحاول الفتى أن يورطنى فيه بالضبط ؟ ما دخلى أنا
بعلاقات الصينيين واليابانيين المتشابكة المليئة
بالشك وسوء النية ؟ إن الكراهية بين الشعبين
عميقة الجذور منذ بدايات هذا القرن ، وقد
ازدادت سوءاً بعد الحرب العالمية الأخيرة ..
ترى ما الذى تفعله بالضبط يا (هن - تشو - كان) ؟

★ ★ ★

ولكن لم تكن لى حيلة ما ..

فى الثامنة مساءً ركبت سيارة أجرة ، وبصعوبة
بالغة نجحت فى أن أشرح للسائق وجهتى .. إنهم
لا يقبلون الكلام بالإنجليزية ويتظاهرون بعدم الفهم ،
ثم إن نطقهم للحروف يختلف عن نطقنا تماماً ،
أضف لهذا أن شوارع (طوكيو) بلا اسم ! نعم ..

لقد ظلت هكذا طويلاً حتى جاء الأمريكيون وأطلقوا
عليها أرقاماً .. لكن اليابانيين ظلوا يسمون الشوارع
بأسماء على غرار (الشارع الذى فى أوله المطعم
وآخره المعبد) .. وهى - كما ترى - ليست بالطريقة
المثلى التى تنقذ السائح من الضياع !
أخيراً وجدت العنوان المقصود ..

كان بيتاً يابانياً تقليدياً من طابق واحد ، على
بابه فانوس جميل مزخرف يغمر المدخل بألوان
لا بأس بها .. الجدران خشبية كالعادة ، وذلك
الطابع العام من (الهشاشة) الجديرة بشعب
اعتاد الزلازل وصارت جزءاً من حياته ..

دققت الجرس ففتحت لى الباب عجوز مجمدة
يبدو أنها شبه كفيفة كذلك ، فقلت ضاغطاً على
مقاطع كلماتى :

- « (تاكيجى - سان) ! »

أفسحت لى المجال كى أدخل ، فنزعت حذائى ،
ودسست قدمى فى قبقاب زلق موضوع هناك ،
ودخلت إلى غرفة صغيرة لها جدران من الورق
المزخرف .. وكان هناك موقد صغير مما يعمل
بالفحم - يسمونه (هيباشى) - وضع عليه براد
شاي ، وثمة منضدة صغيرة على الأرض فوق
حصيرة .. ركعت على ركبتى وجلست أنتظر فى
جو صامت مريب ..

لو كان هذا فيلمًا سينمائيًا فلسوف يبرز لى
الآن عشرة من لاعبى الكاراتيه المحترفين ،
ويعطوننى علقه لم أر مثلها قط .. لحسن الحظ أن
هذا ليس فيلمًا سينمائيًا .. أو لندعُ الله (تعالى)
ألا يكون كذلك ..

بعد دقائق برز لى (تاكيجى - سان) ..
كان ياباتيًا كما اعتدنا أن نتخيل اليابانيين حقًا ..

قصير القامة .. أصفر اللون .. هزيلاً .. له
أسنان أرنب تبرز من فوق شفته السفلى ،
وعوينات غليظة توحى بالبلاهة ، وكان ينحنى
فى تملق ويقهقه دون داع .. وكان يرتدى ثياباً
غريبة أنيقة إلى حدّ ما ..

قلت له بالإنجليزية داعياً الله أن يفهمها :

- « أنا صديق لـ (هن - تشو - كان) .. »

هزّ رأسه فى ذكاء ، والتمعت أسنانه :

- « آه آه ! سودسكا ! »

وهو ما يساوى عندنا قولك (هكذا إذن ؟)

قلت له :

- « قال لى إن علىّ الاتصال بك لو انقطعت

أخباره أكثر من أسبوع .. »

ازدادت ابتسامته إشراقاً :

- « آه آه ! سودسكا ! »

- « قال إن على لو وجدتك أن أنقل لك هذه القصة .. والحق أنني لا أدري ما هي بالضبط .. »

- « آه آه ! سودسكا ! هاها ! »

- « لا أعرف سوى أنه كان ذاهبًا في مهمة في معبد ما .. كان يبحث عن نمر يأمل ألا يجده »

- « آه ! سودسكا ! »

أخيرًا تكلم بعد ما بدأت أتساءل عن كونه
يجيد الإنجليزية ، أو يجيد الكلام أساسًا ..

قال بصوت غليظ خارج من معدته :

- « الواقع يا سيد .. »

- « (رفعت إسماعيل) .. »

- « الواقع يا سيد (إسماعيل) أن لدى (هن -
تشو - كان) سان من الأسباب ما يجطه لا يرغب

فى أن يُشاهد معى ، أو يُعرف أنه جاء دارى ..
دعك من أنه يخشى أن يكون هاتفى مراقبًا .. إنه
يبالغ طبعًا لأنه لا هاتف لدى أصلاً .. لهذا أشكر
على هذه الرسالة ، وسوف يكون من دواعى
سرورى البالغة أن تشرف شخصى المتواضع
بزيارة ثانية فى مثل هذا الموعد غداً .. ثمّة
بعض أشياء أرغب فى أن أعطيك إياها .. »

وصبّ لى بعض الشاى الأخضر المرفّى شىء
يشبه المبصقة ، وناولنى إياه كما قدم لى طبقاً
مليئاً بـ (الكاجو) ..

قلت له وأنا أمضغ وأتلمظ :

- « الحقيقة هى أننى لا أعرف على الإطلاق
ما يدور هنا ، وكنت أفضل لو تركتمونى وشأنى
إن لم يكن فى هذا ضرر بالغ لأحد .. »

اتسعت ابتسامته أكثر فأكثر ، والتمعت نظرة

قاسية من وراء زجاج العوينات الغليظ وهو يقول :

- « للأسف يا سيّدى .. إن الإمساك بذيل النمر
قد يكون سهلاً ، لكن تركه مسألة أخرى ! »

يا للنمور ! منذ جئت إلى اليابان وأنا لا أسمع
إلا عن النمور .. لكن هذا المثل صينى على كل
حال ، ومعناه قريب من (دخول الحمام ليس
كالخروج منه) ..

كدت أقول له إتنى غير ملتزم بشيء ، لكنى أحجمت ..
إن لى التزامى نحو (هن - تشو - كان) على كل
حال .. وهو قالها : لو لم يتصل خلال أسبوع فهو
فى مأزق وأنا لن أترك صديقاً فى مأزق ..

وهكذا غادرت البيت مبلىل الأفكار .. كانت الأمطار
تتهمر فى خفة باعثة نوعاً من البرد المحبب فى
أوصالك .. وقررت أن أمشى قليلاً قبل أن أستوقف
سيارة أجرة .. أنا بحاجة إلى ترتيب أفكارى ..

هواء الليل المنعش المغسول .. أمطار فى
أغسطس ؟ لن أفهم جوّ هذه الجزر أبداً .. (هن -
تشو - كان) فى مازق .. الحلّ فى يد (تاكيجى)
أو - على الأقل - يجب أن يعرف .. (تاكيجى) يريد
إعطائى أشياء معينة فما هى ؟

يالها من الغاز ! لكنى سأفعل ما يُطلب منى على
كل حال .. لن أكثر من الأسئلة ولكنى ببساطة
سألعب دور الساعى .. الساعى الذى لا يسأل كثيراً ..

★ ★ ★

ذيل النمر فى يدي .. فكيف أتركه ؟

★ ★ ★

فى الثامنة من مساء اليوم التالى ، وبعد ما
امتلاً رأسى بثرثرة المؤتمر حتى صارت أية
حركة لى تسكب الحروف من أذنى ؛ نزلت من
سيارة الأجرة ونقدت السائق الانتحارى أجره ..

كان عجوزًا ، ومن المؤكد أنه - ككل سائقي
التاكسى فى (طوكيو) - كان من (الكاميكازى) ..
أولئك الانتحاريين الذين كانوا يركبون الطوربيد
ويندفعون به نحو المدمرات الأمريكية .. كل
هؤلاء صاروا بعد الحرب سائقي تاكسى ، لكنهم
لم يتخلوا عن عادة قتل الزبائن ..

وقفت على الباب وقرعت الجرس ..

لا إجابة .. لم تأت العجوز بعد .. قرعت من
جديد بلا جدوى ..

الباب مفتوح .. هل أدخل ؟

طبعًا دخلت .. وفى هذه المرة فعلتها بحذائى ..
لأننى شعرت بأننى بحاجة إلى خفة الحركة لسبب
لا أدريه ..

كانت المنضدة إياها والموقد إياه ، والحصيرة ..
كل هذه الأشياء كانت موجودة .. لكن الجدران

الورقية كانت ممزقة فى أكثر من موضع ؛
وكانت هناك آثار فوضى لا بأس بها أبداً ..

غريب هذا !

أقسم إن هذا المكان شهد معركة عنيفة نوعاً ..
واصالت البحث ، وبصوت متردد ناديت :

- « (تاكيجى - سان) »

لم يكن من رد ..

وبدا قلبى يخفق متسارعاً .. ثمة شىء ما
على غير ما يرام .. شىء ما خطأ ..

وأخيراً وجدته .. كان راقداً على ظهره ، وقد
سقطت العوينات مهشمة على بعد سنتيمترات
منه .. كان ميتاً طبعاً .. عرفت هذا من عينيه
المحملقتين الخاليتين من التعبير ومن الجرح
البليغ فى عنقه ..



وأخيراً وجدته .. كان راقداً على ظهره ، وقد سقطت
العوينات مهشمة على بعد سنتيمترات منه ..

نحن فى اليابان بلد (الساموراي) و (النينجا)
و (الرونيسن) .. فمن سمع عن شخص يُقتل
بطريقة أخرى غير السيف ؟!

وعلى بعد أمتار وجدت العجوز ، ولم تكن أفضل
حالاً ..

هذا كمين .. بالتأكيد هو كمين ..
وقد دخلت المصيدة بحماقتى المعتادة ..

★ ★ ★

٤- كمين ..

أين أقراص (النيتروجلسرين) ؟
إن قلبي موشك على ..

★ ★ ★

أخيراً بدأ الألم يزول من صدري ، وبدأ الصداع
والدوار يغزوان رأسي ، وهما هدية (النيتروجلسرين)
لمن يدسه تحت لسانه ، أو قل إنهما ضريبة
النجاة من آلام الذبحة ..

يجب أن أخرج من هنا حالا .. يجب ..

وغادرت الدار مسرعاً ، ومن بعيد لمحت ضوء
سيارة أجرة فأشرت لها ، ووثبت داخلها قبل أن
تتوقف تماماً .. قلت للسائق شيئاً عن حيّ
(آساكا) ونظرت للوراء ..

حقًا لم أخطئ كثيرًا بالإسراع .. هناك خيال
(سلويت) ثلاثة أشخاص يقفون في ضوء الدار ،
ويبدو أنهم كانوا يحاولون اللحاق بى لولا ظهور
سيارة الأجرة من حيث لم يحتسبوا ..

هل هم المكلفون بذبحى أم المكلفون باتهامى
بذبح (تاكيجى) والعجوز ؟!

بالطبع .. الأمور دائماً هكذا وليس تخيل
الأمر عسيراً ..

أنا لا أعرف بالتأكد ما يدور من حولى ،
وهكذا فإن هناك احتمالين لا أكثر : محاولة قتلى
أو محاولة توريطى ..

ولماذا ؟ لأننى أعرف أكثر مما يجب ، أو لأن
ماكان (تاكيجى) سيعطيه لى شديد الأهمية أكثر
مما يجب ..

لقد صارت هذه الأمور محفوظة من السينما ،
ولم يعد شيء قادراً على إثارة دهشتي ..

★ ★ ★

دخلت غرفتي في الفندق ، فنزعت ثيابي ورقدت
على الفراش ، وفتحت جهاز التلفزيون .. كانت
مذيعه حسناء تتحدث عن شيء ما ، ومن فمها
تخرج مئات النقوش بالحبر الشيني ؛ لكني لم أكن
معها .. وبالطبع لو ركزت لما فهمت شيئاً ..

يجب أن أغادر اليابان سريعاً ..

لا أعرف إن كان هناك من يلاحقني أم لا ..
إن كان هناك من يعرفني أم لا .. لكن الجو كله
مريب ينذر بالخطر ، وروائح الفئران تفعم كل
شيء كما يقول الإنجليز ..

إن (هن - تشو - كان) لم يتصل بي ، ومن
الواضح أنه لن يفعل .. أفهم ما حدث ؟ ولماذا
أفهمه ؟ كم من الأسرار تملأ الحياة بدءاً من

أهرام الجيزة وانتهاء بمقتل (كنيدي) .. ما الذى
سيضيفه لغز جديد ؟ لن تغزو الحياة أكثر تعقيداً ..

لم ينته المؤتمر بعد ، لكنى على كل حال ألقيت
كلمتى القصيرة فيه ، فلم يعد أحد يطالبنى بشيء
آخر ..

وهكذا بدأت حزم حقائبى ، ثم طلبت مكتب
الاستقبال فى الفندق وأخبرت الموظف أننى أعتزم
الرحيل غداً .. فليجد لى تذكرة على أول طائرة
ترحل غداً ..

إننى أمقت أجواء العصابات والمؤامرات هذه ..
لقد اعتدت أن يجيء الخطر من عالم آخر .. عالم
ليست له مقاييسنا المادية .. عالم يمتص أفراد
الدماء ، أو يجولون بين المقابر ليلاً ، أو يخترقون
الجدران .. هذا هو الخطر الذى أشعر بالراحة
معه ، وربما بعض الحنين .. لكن أساليب

العصابات هذه لاتناسبنى حتماً .. وإتنى لواجد فيها
بعض السوقية والابتذال ..
هنا دق جرس الهاتف ..

★ ★ ★

- « من ؟ »

- « د. (إسماعيل) .. أرجو أن تمنحنى ساعة
من وقتك .. »

كان هذا صوتاً رخيماً ثابتاً .. يتحدث بإجليزية
يابانية الطابع لا شك فيها .. سألته :
- « من أنت ؟ »

- « الأسماء لا تهم .. لو قلت إتنى (ياماتو)
أو (ساكامورا) فما جدوى ذلك لك ؟ »

كلام سليم منطقى .. وأنا أحب الأوغاد المنطقيين ..
قال لى :

- « هل يمكنك التواجد فى شارع (جانزا)
بعد نصف ساعة ؟ يوجد محل عاديات شهير
باسم (ساكورا) هناك .. ألقاك على
الباب ..

- « هذا مفر .. لكنك لم تعطينى سبباً واحداً
يجعلنى أجن شوقاً كى ألقاك هناك .. »

- « إن الأمر يتعلق بصديقك الصينى .. وبشىء
وجدته عند من يدعى (تاكيجى) .. هل صار
كلامى ذا معنى لك ؟! »

- « سأراك هناك »

ووضعت السماعة شاعراً بالسخط .. طبعاً
سأذهب .. من أنا كى لا أفعل ؟

لقد عرف الوجد كيف يثير حماسى الذى حسبته
لا يُثار ..

وهكذا - بعد ثلاثين دقيقة بالتمام - كنت أخترق

الزحام فى شارع (جاتزا) ، وأقاوم ذهول الأضواء
المفرطة .. ذلك الذهول الذى يعاينيه كل قصار
النظر ، ويمكن فهم ما أعنيه لو عرفت أن شارع
(جاتزا) هو الشارع التجارى الأهم فى (طوكيو) ..
مثله مثل شوارع (سليمان باشا) و (٢٦ يوليو)
عندنا فى القاهرة ..

كان هناك محل (ساكورا) إياه ، وقد كتب
اسمه بحروف مضيئة لا تكف عن التوهج ..
الحق أنه من العسير أن تخطئه ..

وقفت على الباب منتظراً العميل ذا الزهرة
الحمراء ، أو الذى يحمل رغيفاً عملاقاً على عادة
القصص .. أنا لا أعرفه لكن من الواضح أنه يعرفنى
جيداً ..

ولم يطل انتظارى كثيراً ، لأننى وجدته يدنو منى ..
كان ضخماً فى منتصف العمر ، بدأ يفقد الشعر فى
مقدمة رأسه ، ويرتدى قميصاً مشجراً لا يناسبه ..

حياتي في تهذيب بهزة رأس ، ثم قال :
- « د . (إسماعيل) .. أعتقد أننا سنكون أكثر
راحة لو ابتعدنا عن هذا الزحام .. »
ودون كلمة أخرى راح يشق طريقه وسط الناس ،
عالمًا أنني بالتأكيد أمشي خلفه .. كان حجمه كافيًا
لإحداث فجوة في الجماهير .. فجوة سمحت لشخص
في حجمي بأن يتسرب منها ..

كان مشوارًا طويلًا بحق ، عبر عشرات الممرات
الجانبية ، والأزقة الأنيقة ، التي أدعوها أزقة
لاتساعها فقط لا لقذارتها ..

أخيرًا ها نحن ذان نقف في ذلك الزقاق المظلم
الخالى من البشر .. حيث تتصارع قطتان على
صندوق قمامة ..

قلت له لاهثًا بعد كل هذا المشى الذي لم أعتده :

- « والآن .. أعتقد أنني سأفهم شيئاً أو شيئين .. »

نظر لى .. وهذه المرة كان يضحك .. يضحك فى صمت لكنها ضحكة وحشية لم أسترح لها كثيراً .. إن الضوء الخافت يسبغ على ملامحه شيطانية لامراء فيها ..

قال شيئاً ما باليابانية .. لم أفهمه طبعاً ، لكنه كان يحمل لى رسالة بليغة جداً : إننا لسنا وحدنا فى هذا الزقاق ..

ونظرت حولى .. بالذات للوراء .. فوجدت ..

كان هناك بلطجيان يابانيان .. بلطجيان من الطراز الذى لا تصدق وجوده ما لم تره .. وكان كلاهما يحمل خنجرًا براقًا أشبه بسونكى البندقية ، ويتجه نحوى فى تودة ..

المقلق فى الموضوع هو أنه لم يكن فى الجو ما يوحي بالتهديد ! هؤلاء القوم لا يريدون شيئاً منى .. لا يريدون سوى قتلى !

صحت وأنا أترجع للوراء :

- « لحظة ! ألن تسألنى عن معلومات ما ؟ »

ابتسم اليابانى الأول فى مرارة ، وهزّ رأسه
نافياً .. فتساءلت :

- « .. هل تريدون سرقتى ؟ إن معى بعض

المال الذى .. »

هز رأسه من جديد نافياً ، وأشار للرجلين بمعنى :
فلننته سريعاً من هذا كله .. وترجع للوراء كي
لا يلوث ثيابه ..

وتذكرت ذلك المشهد الخالد من فيلم (الإصبع
الذهبي) .. أنا أكره أفلام (بوند) لكن هذا المشهد
لا يتسى بسهولة .. (بوند) مقيد وشعاع الليزر
يوشك على تمزيق جسده إلى نصفين .. يصيح
(بوند) فى الإصبع الذهبى : « لحظة ! سأتكلم !
أست تتوقع منى أن أتكلم ؟ » هنا يقول الإصبع

الذهبي في مثل : « بالعكس يامستر (بوند) ..
أتوقع منك أن تموت ! »

هنا - بينما أقرب البلطجيين إلى يحرك خنجره
في الهواء - سمعت صوتاً محبباً للنفس ..

★ ★ ★

من أين جاء (هن - تشو - كان) ؟

من أين ظهر بينى وبين الرجلين ؟

لا أدري ولا يهمنى أن أدري .. كل ما يهمنى
هو أنني نجوت .. بالتأكيد نجوت .. ومن
جديد أسمع الإنذار الخالد الذي لم أسمع من
دهر ..

- « تشاساراياتا ! »

قالها وهو يباعد ما بين ساقيه ..

- « جوانغ ساراياتا ! »

قالها وهو يفتح ذراعيه المشدولتين المتوترتين ،
وبياعد أنامله كالمروحة ..

يتبادل البلطجيان النظرات أمام عرض الحواة
هذا .. غير عالمين أن هذه آخر فرصة لهما
للنجاة لو أرادا الحياة .. لكن كل الثيران غبية
كالعادة .. يلوحان بالخنجرين ويتقدمان أكثر ..

هنا ينتقل (هن - تشو - كان) إلى التحذير الثالث
والأخير :

- « كيوه ساراياتا ! »

يقولها وهو يرجع رأسه للوراء كسهم فى
قوس ..

مشكلة هؤلاء الحمقى هى أنهم يجهلون لغة
رهبان (التبت) القديمة ، ويجهلون أن الكاهن
الأخير أنذرهم (احترسوا من الساراياتا - سأبدأ
الساراياتا - إليكم بالساراياتا) .. وبعدها انطلق ..

انطلق كالفهد الذى يمزق مجموعة من الأطفال ،
أو القط الذى وجد نفسه فى جحر فئران .. أو ...

لن أصف المشهد لأنه تمّ بسرعة على كل
حال ، وعلى العموم أنا قد كفتت عن الانبهار
بالمعارك التى يهزم فيها الكاهن الأخير أقل من
عشرة أشخاص ..

فى النهاية رقد الأوغاد الثلاثة ينزفون ، وسعيد
الحظّ فيهم يئن .. هنا يصيح الفتى صيحته التقليدية :

« سوان هاتشاه ساراياتا ! »

ثم يجذبنى من يدى لنبتعد عن هذه المذبحة ..

★ ★ ★

وفى غرفة الفندق رحت أنظف له جراحه ..

لم تكن جراح هذه المعركة طبعًا ، لكنها جراح
معركة سابقة لهذا .. جراح قطعية على خده وأعلى
صدره وفى ساعده الأيسر ..

كان مُرهقاً لكنه متحفز كالنمر ، نشط كبعوضة ..
أخيراً سألته وأنا أجلس على حافة الفراش :
- « أعتقد أن بعض التفسيرات من حقى .. »
قال وهو يرتدى قميصه :

- « أية تفسيرات ؟ الأمور واضحة تماماً .. »
- « ياسلام ؟! جثتان فى دار يابانية ، وقتلة
يحاولون ذبحى ، وأنت جريح .. و .. إن الوضع
يكاد يخنقنى .. »

شاعت ابتسامة فى تقاطيع وجهه الصلب ، وهى
شئ نادر لدى (هن - تشو - كان) خاصة وهو
لا يفهم الدعابات أصلاً .. إن الصينيين دائمو
القهقهة لكن بالنسبة لهذا الفتى كان أقصى مرح
ممكّن هو رفع الحاجبين ..
قال وهو يزرّر كميّه :

- « أنت على حق .. لا بد من بعض
الإيضاحات .. »

- « إن الأمر يتعلق بـ .. »

وأزاح الستار ليرى ما وراءه ، وأردف :

- « شيء شديد الأهمية .. شديد الأهمية
للـ ... »

وجثا على ركبتيه ليتفحص ما تحت الفراش ..

- « .. للصينيين .. إن مهمتى فى الحقيقة نوع
من عمليات المخابرات .. و .. »

وتفحص المصباح جوار فراشى ، ثم رفع يده
فى الهواء لأرى ما يحمله ..

كان جهازاً صغيراً لم يصعب أن أعرف ما هو ..

إنه ميكروفون دقيق مدسوس هناك بغرض
الانتصات طبعاً ..

قال وهو يضع الشيء على المنضدة :
- « ربما كان من الخير أن نواصل كلامنا في
الهواء الطلق .. »

★ ★ ★

٥- أسطورة رجل بكين ..

« جهاز تنصت ؟ وخبئوه فى المصباح ؟ ألن
يخترعوا أبداً مكاناً خيراً من هذا ؟ دائماً نفس
المكان .. »

- « لا تنس أنك لست رجل مخابرات ، ولا تتوقع
وجود شىء كهذا .. لو أردت رأى لقلت إن هذا
المكان صالح تماماً لمن لا يتوقع شراً .. »

كنا نجول فى حديقة صغيرة من الحدائق المحيطة
بـ (طوكيو) ، ولم يكن هناك ما يريب .. المكان خال
تماماً لكن أضواء المصابيح لا تترك ركنًا مظلمًا
فيه ..

قال (هن - تشو - كان) وهو يواصل المشى :

- « هل تعرف شيئاً عن رجل بكين ؟ »

- « لا أعرف .. أعتقد أنه ذو أهمية
أنثروبولوجية ما ؛ مثله مثل إنسان (نياندرثال)
وسواه .. (هومو سابينز) و (هومو إيريكتاس)
وكل هذه المصطلحات .. »

قال وهو ينظر حوله فى حذر :

- « فى القرن الماضى كانت أسنان التنين تلاقى
رواجاً هائلاً فى الصين .. إن العطارين يبيعونها
مطحونة لشفاء أكثر الأمراض .. طبعاً كانوا
يزعمون أنها أسنان تنين ، لكن الحقيقة أنها
كانت أجزاء من عظام يجدونها متناثرة هنا وهناك ،
ولم يحاولوا قط أن يعرفوا مصدرها .. »

« فى العام ١٩٢٠ يجىء الجيولوجى السويدى
(أندرسون) إلى الصين .. إلى (بكين) بالذات
بحثاً عن ثروات معدنية .. »

« بدأ العمل فى موضع اسمه (تشوكوتيان) قرب (بكين) ، وقد وجد كثيراً من هذه الأسنان التى بدت له مختلفة عن أية أسنان يعرفها .. لكنه لم يكن ممن يفهمون هذه الأمور جيداً ، ولم يعرها كثير اهتمام ..

« كان مما لفت نظره كذلك ، تلك الكهوف فى الحجر الجيرى .. كهوف عتيقة من الواضح أن هناك بقايا عظام مدفونة فيها ..

« كانت الكهوف مريية بحق .. ثمة عظام مهشمة بطرق غريبة جداً كأن وحشاً عملاقاً هشمها .. ثمة أدوات من حجر الكوارتز ، وهو حجر لا يوجد فى الكهوف الجيرية ما لم يتم هذا بفعل فاعل ..

« النتيجة المنطقية هى أن هذه الكهوف كانت تحوى بشراً .. بشراً من زمن بعيد سحيق ، قبل أن يستقر جدودى فى جبال التبت ، وقبل أن يعرف الصينيون أنهم صينيون .. »

قلت له فى استمتاع :

- « لقد صرت بليغاً أيتها الزهرة الزرقاء ..
أرى أنك اندمجت فى عالم اليوم بسهولة بالغة .. »
لم يعلق ، ولم يفهم إن كان هذا مديحاً أم
دعابة ، وقال :

- « كتب (أندرسن) خلاصة ما وجده إلى رجل
صناعة سويدي ثرى يدعى (إيفار كروجر) ..
وكان هذا الأخير يملك المال والنفوذ ، فأرسل إلى
الصين رجلاً يفهم فى هذه الأمور هو د. (أوتو
زدانسكى) ..

« وكان ما وجده (زدانسكى) مثيراً .. لقد كانت
تلك العظام آدمية ؛ وكان بينها تلك الأسنان التى
كان العطارون يبيعونها على أنها أسنان تنين .. »
تقلصت أمعائى وقلت :

- « إذن كان الصينيون يأكلون أسنان الموتى المطحونة طلباً للعلاج ، وهم يحسبونها أسنان تنين ؟! »

- « لافارق هناك يا (ريفات) .. إن الكالسيوم هو الكالسيوم .. »

- « ما زلت أجد الفكرة مقززة .. »

داعب بأنامله بعض الزهور التى لا أعرف اسمها .. إن زهور اليابانيين منمقة مزخرفة ككل ما هو يابانى ، وقال :

- « سرعان ما جاء علماء (الأثروبولوجى) من كل أرجاء الأرض لينقبوا فى (بكين) .. أغنى فى (تشوكوتيان) بالذات .. لم يتركوا حجراً على حجر .. وأطلقوا على هذه العظام التى وجدوها اسم (إنسان بكين) .. »

« عام ١٩٢٨ عثر الدكتور (س . باى) على قطع أخرى من فك وجمجمة ذلك الكائن .. »

واستطاع أن يكون خلفية لا بأس بها عن حياة
ذلك المخلوق العتيق .. »

سألت (هن - تشو - كان) وأنا أشعر بالحيرة :
- « قصة لا بأس بها .. لكن ما دخلها بما يحدث
لنا ؟ »

قال وهو يفعم رثتيه بهواء الليل :
- « صبرًا .. إنك عجول كطفل أمام قطعة من
اللفت المُسكر »

- « لفت مُسكر ؟ أنا ؟ »

- « سأحكى لك كل شيء .. »

★ ★ ★

- « في عام ١٩٣٧ كان الصينيون قد تعلموا
الكثير عن التنقيب في هذه البقعة من بلادهم ، وإن
كان معهم خبير أمريكي يدعى (مارك دونالدسون) ..
يبدو أنه كان الكل في الكل في تلك العمليات ..

« هنا غزت اليابان الصين ، وبدأ خطر اليابانيين
يتهدد عمليات التنقيب هذه .. هنا يحدث شيء
غريب ..

« تصل فى الظلام فرقاطة أمريكية اسمها
(إيليت) ، وفى سرية تامة يتم نقل عدد من
الصناديق إليها ..

« ماذا كان فى تلك الصناديق ؟ لا أحد يعرف ..
الصينيون لم يعرفوا إلا أنها حفريات مهمة يجب
الهروب بها إلى أمريكا ، لأنها لا يجب أن تقع فى
يد اليابانيين ..

« وبعد خمسة أيام اختفى البروفسور (دونالسون)
تماماً .. الوحيد الذى كان يعرف الحقيقة كلها ..
أين ذهب ؟ متى ذهب ؟ لا أحد يعرف .. »

قلت له وقد بدأت أهتم بالأمر :

- « لحظة .. معنى هذا أن تلك الصناديق لدى
الولايات المتحدة .. ؟ »

- « لا .. لقد كان حظ الأمريكيين عاثراً ، ونشبت الحرب مع اليابان بعد يومين من وضع الصناديق عليها .. أسرهم اليابانيون فى وسط المحيط الهادى واستولوا على الصناديق ، ومن يومها لم يرها ولم يسمع بها أحد .. وقد توفى أكثر هؤلاء الأمريكيين بالزحار الأميى والمالريا فى معتقلات اليابانيين بالفلبين .. لكن (ثورنوايلد) قائد الفرقاطة ظلّ حياً ، وحكى القصة لبعض الصحفيين منذ عام .. كما ثرثر بها فى بدايات الستينات »

- « وصممت الحكومة الصينية على .. »

شاعت ابتسامة فى تقاطيع وجهه القاسى ،
وقال :

- « نعم .. إن هذا التراث ملك للشعب الصينى ولا بد من استرداده بأى ثمن .. فى تقدير خبرائهم الأثروبولوجيين أن هذه البقايا لا يمكن تسميتها ..

إنها أثمن مما لو كانت من الذهب والبلاتين
بمراحل .. والصين مصرة على استرداد هذا
الكنز .. ولسوف تفعل .. »

وصلنا لنهاية الممشى ، فاستدرنا عائدين وقلت :

- « ماذا عن الدبلوماسية ؟ »

- « اليابانيون ينكرون أى وجود لتلك الصناديق ،
ويؤكدون أن الفرقاطة كانت خالية عند أسرها .. »

- « ولهذا أرسلك الصينيون إلى هنا ؟ »

- « بالضبط .. مهمتى كانت هى البحث عن
بداية خيط يقودنى إلى تلك الصناديق .. ولم أكن
وحدى .. كان هناك عميل يابانى هو (تاكيجى -
سان) ومعه شبكته التى يمولها الصينيون .. »
وبدأ يعدّ على أنامله :

- « أولاً كانت لدينا معلومات الأمريكى
(ثورنوايلد) .. ثانياً كان عندنا القائد اليابانى

واسمه (ميتسو جوياما) .. ثالثاً كان عندنا عالم أمريكي مختلف اسمه (دونالسون) .. ثلاثة خيوط يمكن البدء بها .. وبالطبع بحث (تاكيجي) ورجاله عن الثاني .. لا أثر له .. والثالث لا أثر له ..

« يبدو - وهذا هو الاحتمال الأرجح - أن (ميتسو جوياما) قرر الاحتفاظ بالصناديق لنفسه ، ولم يبلغ عنها .. أو أبلغ عن بعضها .. لقد قابل عملاؤنا جنوداً يابانيين قاموا بنقل بعض الصناديق فى سيارة مغطاة إلى معبد من معابد (الشنسو) خارج (طوكيو) ، لكنهم لا يذكرون شيئاً عن أين أخفوها .. الأمر بعد كل شيء يتحدث عن أمور وقعت منذ ثلاثين سنة .. »

- « وهذا هو المعبد الذى ذهبت أنت لزيارته .. »

- « نعم .. وتغلبوا على .. »

- « تغلبوا عليك أنت ؟ كيف ؟ هل استعانوا

بالجيش ؟ »

- « لا تكن طفلاً يا (ريفات) ... حتى (النافاراي) يمكن التغلب عليهم بسهولة .. خاصة حين تهوى شبكة صيد من السقف فوقك ، وحين يغرس أحدهم حقنة منومة في ظهرك وأنت تحاول التملص .. لقد كان هؤلاء القوم ينتظروننى .. »

- « لكنك استطعت الهرب .. هذا واضح .. »
هز رأسه فى ثقة وغمغم :

- « إنهم حمقى .. حين تتغلب على كاهن (نافاراي) وتقيدته ، فلا تستعمل الحبال وتترك خمسة رجال فقط لحراسته .. »
بدأت خيوط القصة تتضح لى ..

ثمة - بالتأكيد - عصابة يابانية ما ترغب فى سبق الصينيين إلى تلك البقايا ، وهى تعرف كل شىء عن مهمة (هن - تشو - كان) وعن (تاكيجى) .. ثم عرفت كل شىء عنى حين زرت (تاكيجى) ..

سألته آخر سؤال عندي :

- « وكيف وجدتني لحظة الحصار الذي كاد
ينهي أمرى ؟ »

قطب جبينه والتمعت في عينيه تلك النظرة
القديمة :

- « كنت متجهًا للفندق حين شعرت بأنك
قريب .. عرفت يقينًا أنك قريب .. لقد تقاربت
روحانا لفترة لا بأس بها ، وما زال بوسعي
أن أشم رائحة روحك على بعد أميال .. »

- « تعبير شاعري .. لكنه أقرب إلى الحديث
عن رائحة الجوارب لا الأرواح .. إن الأرواح
لا رائحة لها يا بني .. »

- « إن لها رائحة لكنها لا تُشم بالأنوف ، ولكن
تُشم بأرواح دانية منها .. لقد عرفت أنك قريب ،
وبحثت كثيرًا حتى وجدتك مع ذلك اليبابى تشقان
الزحام .. عرفت ما سيحدث .. وعرفت كيف أمنعه .. »

كنا قد وصلنا من جديد لنهاية الممشى فى
الحديقة ، وبدا لى أننا سنقضى الليل جيئة وذهاباً
هناك ، فعرضت على الفتى أن نجلس فى أى
مقهى .. إن هؤلاء المطاردين لن يجدوا وقتاً
لزرع أجهزة تنصت فى كل مقاهى (طوكيو)
على كل حال ..

اخترنا مقهى على الجانب الآخر من الشارع ،
وطلبت بعض الشاى الأخضر المرّ كالعادة .. وكذا
فعل (هن - تشو - كان) .. الكلّ من حولنا
يشرب الساكى الساخن ، لكنى طبعاً لا أقرب
الخمور وكذا الفتى ..

تذكرت سؤالاً مهماً آخر ، فقلت :

- « ما الذى كان (تاكيجى) سيعطيه لى
فى موعدنا ؟ »

- « لا أدرى .. إن من قتله أخذ الشىء بالتأكيد .. »

- « ولماذا حاولوا قتلى ؟ ما داموا يعرفون
أننى لم آخذ شيئاً .. »

- « ربما هم لا يعرفون مدى ما تعرفه ..
ولأسباب كهذه دسوا جهاز تنصت فى حجرتك ..
لقد حاولوا معرفة حجم معلوماتك ، ثم أزمعوا
التخلص منك على سبيل الأخذ بالأحوط .. »

قضمت بعض البسكويت الجاف .. كانت له
نكهة كريهة (سمكية) بشكل ما ، وعرفت أنه
بالتأكيد بسكويت سمك .. كل شىء فى اليابان
يدخل فيه السمك ربما حتى العصير نفسه ..
وضعت القطعة فى طبقها مشمئزاً وسألت :
- « (هن - تشو) .. ما زلت لا أفهم القيمة
الحقيقية لرجل (بكين) هذا .. إنه شخص ما
عاش فى الماضى ومات .. فما أهميته إلى هذا
الحد ؟ »

★ ★ ★

قال الفتى :

- « لست عالماً أنثروبولوجياً ؛ لكن قيمة رجل
(بكين) تأتي أولاً من كون كل بقاياها قد اختفت
وسط نيران الحرب الأخيرة .. لقد رسمه كثيرون
وصوره كثيرون ، لكن البقايا الحقيقية قد
تلاشت .. هذا لغز آخر من ألغاز الكون مثل
(أطلنطس) و (ليموريا) وشهاب (تونجوسكا) ..
» هذه نقطة ..

» النقطة الثانية هي أنه الدليل الوحيد على
وجود حياة بشرية قرب (بكين) منذ نصف
مليون سنة ..

» إن مخلفاته الموجودة ، وأدواته ، وبقايا
الحيوانات التي كان يأكلها ؛ كلها أدلة لا تقدر
بشئ بالنسبة للعلماء .. العلماء الذين يعتقد عدد
منهم أن موضوع (إنسان بكين) مجرد أكذوبة
علمية محبوكة .. »



« النقطة الثانية هي أنه الدليل الوحيد على وجود حياة
بشرية قرب (بكين) منذ نصف مليون سنة » ..

وابتلع ريقه وأردف بعد تفكير :

« ثمة لغز معين يحيط بهذه الصناديق .. لا أدرى ما هو .. لكن القائد الأمريكى حكى عن أشياء رهيبة .. أشياء لا أصدق حرفاً منها .. لأنى لو صدقت لحزمت حقائبى وعدت إلى (التبت) حالاً ! » ..

★ ★ ★

٦ - ليلة هادئة جداً ..

لم يكن له اسم ..

إنه يعرف نفسه والآخرين يعرفونه .. إنه هو .. فما جدوى الأسماء إذن ؟

كان الجو بارداً في تلك الليلة بالذات ، والجليد ينهمر بالخارج صانعاً طبقة فوق طبقة من الثلج الأبيض الناعم ..

لا عجب .. فنحن في العصر الذي سيطلقون عليه يوماً اسم عصر الجليد .. لكنه ليس عصر الجليد بالضبط .. بل هي إحدى فترات الدفء التي تفصل عصور الجليد عن بعضها .. فترة ذوبان الثلوج ، وفيضان الأنهار ، واخضرار السهول ..

الطقس - برغم هذا - مازال لا يطاق بالنسبة
للإنسان ..

دخل الكهف حيث كان الآخرون يتدثرون
بالفراء ، ويجلسون متلاصقين فى ركن المكان ..
كانوا يرتجفون ، وخاصة تلك الكائنات الصغيرة
العارية التى تشرب ولا تأكل اللحم .. ألقى بالصيد
على الأرض ونظر حوله ..

يجب إشعال النار ..

فقط النار ستزيل هذا الجليد القاتل الذى يجمّد
أعصابهم ..

بحث عن قطعتين من الحجر الأملس الخاص
الذى وجدته فى النهر ، وجلب ثلاث قطع من
الخشب .. كوّمها فوق بعضها ، ثم راح يضرب
الحجرين ببعضهما منتظراً الشرارة المقدسة
التي ستبدأ النار ..

وجوههم دانية منه .. ترمقه فى توحش
وشغف ..

بعضهم يصدر من حلقه أصوات الرضا ..
أخيراً توهجت النار ، وبدأ الخشب يلتهب ..
الدخان يتصاعد .. الدفء يملأ المكان ..

ثمة كائن صغير يحاول الإمساك بالزهرة
الحمراء ، لكنه يضربه بقوة على وجهه .. هذه
الزهرة تقتل .. لقد رآها تفعل ذلك كثيراً ..

ينظر حوله بحثاً عن الذئب الذى قتله اليوم ..
إن لحمه ليس شهياً ، لكن الصيد قد صار
نادرًا هذه الأيام ، وما باليد حيلة .. لو اختار
لفضل أيلًا أو غزالًا ..

أعطوه جثة الذئب ، فأمسك بقطعة الحجر
الصوان الحادة .. كان قد حصل عليها من النهر ،
فهو تعلم من زمن طويل أن أحجار هذه الكهوف

الجيرية لاتصلح للقتال ، ولا تصلح للتمزيق ..
لقد راح يشذبها بعناية باستعمال حجر آخر ،
حتى صارت لها حافة حادة نافعة ..
بهذه السكين البدائية شقّ أحشاء الذئب
وسلخه .. ثم بدأ يمزق أجزائه بعناية ..
حاول أحدهم أن يسرق قطعة ، لكنه وجه له
ضربة عاتية فى بطنه .. وصاح منذراً .. واستدار
ليجد واحداً آخر قد دفن وجهه فى لحم الذئب ،
وراح يحاول انتزاع قطعة بأسنانه ، فهوى فوق
رأسه بقبضته ..

إنه الأقوى .. إنه الأعشى .. وهو من يأكل
أولاً ..

كان راغباً فى وضع اللحم على النار .. لقد ذاق
منذ فترة لحم ذلك الدب الذى ضربته الصاعقة ،
وكان شهياً برغم أنه كان خالياً من الدماء ..

كان راغبًا فى إعادة الكرة ، لكن الآخرين
ماكانوا ليتركوا اللحم على النار حتى ينضج ..
لا بد من التهام الذئب حالا ..

أمسك بالفراء الدامى وقذفه لواحدة .. إنه
يصلح كى تلف فيه كائنها الصغير العارى الذى
يرتجف ..

ثم إنه أمسك بكبد الذئب وقضم منه قزمة
كبيرة ، ليعلن عن شجاعته وقوته للجميع ..
ها هو ذا يستمدها من كبد الذئب التى تضم
شراسته كلها ..

ولنفسه مزق قطعة كبيرة من اللحم وبدأ
ينهش فيها ، وترك الباقيين يصرعون على
الجثة .. يضربون بعضهم ويخمشون الوجوه ..
وبعد ثوان كان كل واحد قد حمل غنيمته إلى
موضع فى الكهف ، وراح يلتهمها بسرعة ، وعيناه

تدوران حوله كالمجنون كى لا يباغته أحد من
الخلف ويفوز بها ..

كان الجليد ينهمر بغزارة فى الخارج ، وقد
صار مدخل الكهف مغلقاً إلى منتصفه .. هذا
خطر .. صحيح أن الدببة لن تجيء هذه الليلة
- زيارة الدببة ليست بالتأكيد تجربة محببة - لكنهم
يغامرون بأن يصحوا ليجدوا أنهم مسجونون
تماماً .. هذا خطر كالدببة تماماً أو أسوأ ..

حمل قطعة كبيرة من الصوان ، وراح - ومعه
آخرون - يحاولون أن يوسعوا الفتحة قليلاً ، وأن
يصنعوا مدخلاً للباب ..

سيكون عليهم أن يكرروا هذه طيلة العاصفة ،
وحتى تنتهى .. عندها يمكنهم فتح مدخل الكهف
بالكامل ..

جلس وجلسوا حول النار يرتجفون ..

إن فراء الدببة لم يعد كافيًا لجلب الدفء إلى
أوصالهم ..

وبعد قليل لعب الدفء القليل وامتلاء المعدة
دورًا لا بأس به ، وبدأت العضلات تسترخي ،
والجفون تثقل .. وبدأ عدد منهم يفقد قدرته
على البقاء جالسًا ..

★ ★ ★

بعد ساعة - في عرفنا - صحا على الهول ذاته ..
صحا على صوت التمزيق والطحن ، وسمع
صراخهن ، وسمع عويل الكائنات الصغيرة وهى
تموت ..

فى البدء حسبه دبًا .. فقط الدببة تقدر على
هذا ..

لكن لا .. لم يكن هذا دبًا ..
ليته كان ..

وهب الجميع يلوحون بأسلحتهم المصنوعة من
حجر الصوان .. بعضها أقرب إلى الخناجر ، وبعضها
ربطت بالقش المجدول إلى غصون الأشجار على
شكل رماح .. وصوبوها نحو الهول القادم ..

لم يتساءل أحدهم من أين وكيف دخل ؟ إن
شيئاً كهذا لقادر بالتأكيد على الدخول حينما يريد
أينما يريد ..

صاح من الخطر ، ومن الرعب ، ومن التوحش
الذى ثار فى دمه .. لا شىء يمنع الذئب من
الوثب على الدبّ مهما كان فارق القوة .. إن
للغريزة أحكامها ودوافعها .. إنه نداء الدماء
الذى لا يُردّ ولا يُرفض ..

كشّر عن أسنانه الغليظة التى سيجدها (أوتو
زدانسكى) يوماً بعد نصف مليون سنة ؛
وأصدر صيحة وحشية ، وانقض على الخطر ..

طبعًا كان هذا آخر شيء فعله فى حياته ..
وواصل الرجال الهجوم وهم يعوون كالذئاب ..
تطايرت بعض الرقاب والأذرع .. وانشطر أحدهم
إلى نصفين ، لكنهم واصلوا الهجوم .. وثمة فك
سيجده (دافيدسن بلاك) عام ١٩٢٧ ..
هنا بدأت الطبيعة تلعب لعبتها ، وبدورها شاركت
فى المعركة ..

★ ★ ★

إن الكهف لم يخلق لتحمل كل هذا الارتطام
والصراخ والكرّ والفرّ ..
وكانوا يعرفون أن صرخة عالية قليلًا قمينة
بأن تسقط قطعة حجر من السقف .. لهذا كانوا
يتجنبون الصراخ غالبًا ..
لكن الأمر قد اختلف الآن ، وبدأ الكهف العجوز
يعلن عن سخطه ، وراحت الجدران ترتج ..

الجدران التى أنهكتها أطنان الجليد التى تراكت
فوقها ..

وبدأت الأحجار تتهاوى .. تتهاوى ببطء فى
البداية .. ثم بجموح .. بجرأة .. وصرخ الأحياء
وهم يتلقون الجلاميد فوق رؤوسهم ..

والهول ذاته اختفى وسط سحابة من الانهيارات ،
واختلط الغبار الجيرى بالثلج الدقيق بدخان النار
الهامة .. واختلط صوت الانهيار بالصراخ بتهشيم
العظام .. واختلطت رائحة الدماء برائحة الرماد
برائحة الغبار ..

ملحمة من الأصوات والروائح والفظائع ..

وفى النهاية هدأ كل شىء ..

ساد صمت ثقيل بليغ ..

★ ★ ★

بعد أعوام سيذوب الجليد تمامًا ، وتفيض الأنهار
لتملأ الكهف بطبقات (الغرين) .. طبقة بعد
طبقة تملأ كل ما بقى فيه من تجاويف ..

ستجد الأنهار طرقًا أخرى ، وتخضر الصحارى ،
وتتصحر الغابات ..

ولسوف يختلف هذا الموضع كثيرًا جدًا ..
جداً ..

لكن رجلاً واحداً سيجده ..

هذا الرجل أمريكى يُدعى (دونالدسون) ..

★ ★ ★

٧- لم أعد معهم ..

نصحنى (هن - تشو - كان) وهو يفتح باب
سيارة الأجرة :

- « لا أرى من الحكمة أن تعود إلى الفندق ..
سيعرفون كيف يظفرون بك .. »
قلت وأنا أركب بجواره :

- « إن هناك تذكرة طائرة محجوزة لى ظهر غد ..
سأبحث عن فندق آخر أقضى فيه هذه الساعات ،
ولكن حقائبي .. »

- « لهذا سأتى معك إلى الفندق ، ولسوف
ننقلها معاً .. »

شعرت بامتنان لهذا .. هذه هى فائدة
(النافاراي) حقاً : بوسعك فى أية لحظة أن
تسترد حقائبك من فندق يراقبه القتلة ..

وفى الطريق بينما أضواء (طوكيو) الخلابه
تعمينى كعادتها ؛ سألته :

- « قلت إن هناك شيئاً مخيفاً يتعلق بالصناديق ..
ولم تفصح .. ما نوع هذا الشيء ؟ »

كانت أضواء الطريق تنعكس على وجهه الصلب
الحازم .. ظل صامتاً برهة ثم قال فى حذر :

- « لا شيء خارقاً للعادة .. أصوات .. قطرات
من سائل .. إلخ .. الهراء المعتقد فى هذه الأمور ..
لكن ما يثير قلقى بحق هو نداء أجدادى .. »
- « أجدادك ينادون ؟ »

- « نعم .. الكاهن الأكبر .الـ (ساكا - سورانا)
يزورنى بكثرة هذه الأيام فى منامى .. وهو يكرر
بلا توقف : ابتعد أيها (الزهرة الزرقاء) ..
ابتعد .. إن الخطر داهم نراه جلياً ، كما نرى القط
يتربص بين الأعشاب للسنونو .. ابتعد .. أو خذ

الحذر وقاوم .. فإن الخطر إن لم يقتلك يجعلك
مقدساً .. وعندها تكون (نافاراي) كما ينبغي
أن يكون .. »

- « هكذا فقط ؟ بلا تفاصيل ؟ »

عض شفته السفلى وقال :

- « هذه هي التفاصيل ذاتها وما بقي هو هباء
كقشور الأرز .. إن الكاهن الأعظم قلما يتصل بي ..
ومعنى هذا أن الخطر من طراز جديد لم أعده من
قبل .. »

- « وما هي خطتك ؟ »

- « سأعود إلى المعبد ، وأجد من يتكلم ..
فهؤلاء القوم يعرفون خيراً مني ، ويسبقونني ببضع
خطوات .. »

ووصلنا إلى الفندق ، فصعدت إلى حجرتي معه ،
وبدأت أجمع حقايبى التى كنت قد حزمته فى

وقت مبكر من هذه الليلة ، وحرصنا طبعًا على
ألا نتبادل كلمة واحدة طيلة الوقت ..

لا أحد يزرع جهاز تنصت واحدًا أبدًا .. ولربما
وضعوا الجهاز الذى وجدته فى موضع سهل
عدداً .. من يدرى ؟

★ ★ ★

قرع (هن - تشو - كان) الباب ثلاثاً ، فسمعنا
من يقول شيئاً باليابانية ..

انفتح الباب فرأيت فتاة يابانية ، لكنها من
الجيل الجديد المتأمر كإياه ..

بشرة بيضاء .. عيان غير ضيقتين .. شعر
أشقر (أم هو مصبوغ ؟) ..

بدا الذهول عليها حين رأتنا ، وتبادلت كلمات
صينية مهمة مع الفتى ، ثم دعتنا إلى الدخول ..

كانت شقة غربية الطابع مُضاءة جيداً ، وكان ضوء النهار قد بدأ يغمر المكان لأن أحداث الليل استغرقت الليل كله ..

وفى ركن المكان كانت هناك غرفة يابانية الطابع تركتها الفتاة هنا على سبيل الرمز .. جدران من الورق المقوى .. حصيرة على الأرض من التي يسمونها (تاتامى) .. لحاف مطوى واضح أنها كانت نائمة عليه منذ ساعة ..

قِدم (هن - تشو - كان) أهدنا للآخر :

- « د . (إسماعيل) .. (أوشيمونا جوزى) ..
يمكن لكليكما الكلام بحرية لأن ثلاثتنا نعرف كل شىء .. »

ثم أضاف موجهًا الكلام لى (بالعربية) :

- « إنها قلقة طبعًا من مجيئنا لدارها فى هذا الوقت .. تقول إننا سنجلب عليها الوبال .. لكنى متأكد من أن أحدًا لا يتبعنا .. »

- « لا ألومها كثيراً .. إننا نشبه مصيبتين .. »

- « ستكون هنا فى أمان حتى يجىء موعد

طائرتك .. »

- « وأنت ؟ »

- « سأبقى هنا طبعاً .. إن مهمتى لم تنته ..

وعلى كل حال من مصلحة (أوشيمو) ألا تبقى

أكثر .. نحن لانعرف ما قاله (تاكيجى) قبل

موته .. ولربما كان بعض الأوغاد يستقلون

سيارتهم إلى هنا فى هذه اللحظة بالذات ! »

وعادت الفتاة حاملة صحفة عليها بعض الشاى

والبسكويت والبيض الفاسد ، فوضعت كل شىء على

المنضدة الصغيرة ، وقالت ما معناه (كلوا لقمة

سريعة) ، فافتрشت الأرض مع الفتى ، وبدأنا

نأكل .. لم يكن فى ضميرى شىء من التائب لأى

سأرحل .. بل بالأحرى كنت مسروراً .. إن

(هن - تشو - كان) يعرف كيف يعنى بنفسه ،
وأنا لن أزيد على كونى مصدرًا للمتاعب له .. لن
أفعل شيئاً ولا أصلح لشيء إلا لأن أكون رهينة
يضغطون بها عليه عند اللزوم .. أضف لهذا أن
الصراعات الصينية - اليابانية على الحفريات هى
من آخر الموضوعات التى تهمنى فى هذا العالم ..

يبدو أن الفتاة تعيش وحدها ، ويبدو أنها كانت
ستخرج لعملها حين وجدتنا أمامها .. لهذا بدت
عليها الحيرة .. ماذا تعمل بنا ؟

قال لها (هن - تشو - كان) شيئاً فابتسمت ..
نهضت إلى ركن الغرفة وتناولت اللحاف المطوى
ففردته على الأرض ، وأشارت إليه .. فقال الفتى :
- « يمكنك أن تنام لو أردت .. سوف نوقظك
قبل الموعد بساعة .. »

كان هذا أجمل مما كنت أحلم به .. حقاً كنت

فى غاية الإرهاق وقد تفسخت أوصالى كلها ،
وكان رأسى خفيفاً يحلق وحده كالبالون .. لهذا
لم أسأل أسئلة كثيرة .. أفرغت سلطانية الشاى
فى جوفى ، ثم دسست عويناتى فى جيب البذلة
الداخلى ، وعلقتها على مسمار ما هناك ، وأعطيت
للوجود ظهري ..

عمليون جداً هؤلاء اليابانيون .. جدران الغرف
من الورق بحيث يمكن تحريكها بسهولة .. ويلمح
البصر تكون عندك غرفتان أو ثلاث غرف ..
الأسرة مراتب على الأرض تطوى بمجرد الاستيقاظ
حتى لا تحتل مكاناً ، والوسائد محشوة بالأرز
كى لا تكلف مالاً .. و ..

و .. و ..

★ ★ ★

و حين صاحوت من النوم ، بدت لى الأمور
مختلفة نوعاً ..

لم تكن هناك جدران ورقية ..

لم يكن هناك كاهن آخر ، ولا فتاة يابانية ..

لم يكن هناك شيء ..

وأدركت - بذكائي المعتاد - أن هذا المكان يختلف ..

نهضت مذعورًا لأدرك أنني جالس على مقعد

وثير .. جوارى نافذة تركض الأشجار فى هلع

- واحدة تلو الأخرى - من خلالها ..

تلك الاهتزازات المستمرة توحى لى أنني لست

فى مكان ثابت على الأرض .. إن هذا قطار ..

قطار نظيف مؤثث كأنه استراحة خاصة ..

(بربشت) بعينى أكثر ، فشعرت بالعينات

توضع على أنفى .. الآن أتبين كل شيء بوضوح

تام ..

أنا فى عربة قطار .. بالفعل .. وحولى نحو

خمسة من اليابانيين تتباين وجوههم وأحجامهم ،
لكن ملامحهم لا توحى بالطيبة المطلقة ..

كان منهم الواقف والجالس ، ومن يداعب
أظفاره بخنجر صغير .. وكان منهم من يدخن
ومن يشرب شيئاً من (ترموس) صغير ..

ونظرت أمامي مباشرة ، فوجدت ذلك
الأمريكي .. مستحيل ألا يكون أمريكياً .. كان
شيخاً في الستين أو السبعين من عمره لكنه
بحال معقولة .. بدين يمتلئ وجهه بالتجاعيد ..
يرمقتى بعينين رماديتين من فوق إطار عوينات
متدلية على قصبة أنفه ..

قال بلهجة جعلتني أتأكد من أنه أمريكي (في
الغالب من الجنوب أيضاً بسبب مقاطعه الممطوطة) ..

- « نأسف على هذه الطريقة يا بروفيسور .. »

نأسف ؟ هذا ما كان ينقصني لأفهم أنهم

اختطفوني من دار تلك الفتاة .. ماذا كان اسمها ؟
كيف فعلوا هذا ومتى ؟ أين ذهب (هن - تشو -
كان) ؟ لماذا لم يحمنى ؟ هل كان نومى ثقیلاً إلى
هذا الحد الذى ..

رباه ! الطائرة !

وبحثت فى جيوبى .. كنت أرتدى سترتى ويبدو
أنهم اضطروا لهذا كي يأخذونى دون إثارة الريبة ..
أين التذكرة ؟ هل فات الوقت ؟

قال الأمريكى ملوحاً بقصاصة ملونة فى يده :

- « هل تبحث عن هذه ؟ »

وأشعل طرفها بقداحته فى هدوء ، وانتظر هنيهة
حتى كادت النيران تحرق أنامله ، ثم ألقى بالشعلة
فى مظافة تبغ على المنضدة أمامه ..

اتسعت عيناي ، ويبدو أنه سمع أفكارى
فقال :



وأشعل طرفها بقداحته في هدوء ، وانتظر هنيهة حتى كادت
النيران تحرق أنامله ..

- « لقد أقلعت الطائرة منذ ثلاث ساعات
يا بروفيسور .. لم تعد لهذه الورقة قيمة
إذن .. »

وأشعل لنفسه لفافة تبغ أنيقة ، وسعل قليلاً ،
ثم قال :

- « نسيت أن أقدم لك بنفسى .. (مارك
دونالسون) .. أمريكى »

كدت أقول له - فى سذاجة - إننى توقعت
هذا ، ثم عدلت .. أنا لا أعرف مقدار ما يعرفه
على كل حال .. ربما كان من الحكمة أن أبيع
ولا أشتري ..

قلت له فى وهن :

- « لماذا لم تقتلونى ؟ »

ابتسم وغمز بعينه اليسرى .. كانت هذه عادة
عصبية عنده - كما تبينت بعد قليل - وقال :

- « يخیل إلیّ أنک لا تفهم الموضوع جیداً ..
لسنا قتلة .. أنت هنا ضیفنا المکرّم حتى یتعاون
معنا صديقک الصينی .. »

- « صديقی الصينی ؟ وأین هو ؟ »

- « کنا نحسبک الأقدر علی الإجابة .. لم نجده ،
لذا اضطررنا إلی اصطحابک معنا .. ولهذا اخترع
(الكلورفورم) کما تعلم .. »

آه ! فهمت .. المشهد الخالد فی السينما ..
رجلان یجرانی جرّاً ، وأنا غائب عن الوعي ..
وکلما قابلهما رجل مرتاب أو شرطی قالوا شيئاً
عن إفراطی فی الشراب أو غيبوبة السكر
أو ... أو ...

- « وإلی أين تأخذوننی ؟ »

- « هذا القطار متجه إلی (ناجویا) .. إن
خط (توکایدو) هو أهم خطوط السکک الحديدیة

فى اليابان ، ويربط (طوكيو) بـ (أوزاكا)
و (ناجويا) .. »

كان مخى مبلبلاً بفعل المخدّر .. ضباب كثيف
يغمر أفكارى ، لكنى كنت أعرف أن (ناجويا) هى
أهم موانئ اليابان .. إن (طوكيو) لاتصلح
إلا للسفن الصغيرة .. لكن (ناجويا) آه
لوىصفو عقلى قليلاً ! (ناجويا) على بعد نحو
أربعمائة كيلومتر من (طوكيو) .. أى أن هذا
القطار يقطعها فى يا للضباب !

★ ★ ★

جاء أحد الرجال بالطعام ، ووضعهُ على
المنضدة .. صحيفة لكل منا ..

وضع (دونالسون) المنشفة حول عنقه
- كما يفعل الأطفال - وانكبّ يفتك بالطعام فتكاً ،

وكان يستعمل العصوين ببراعة كأنه يابانى ابن
يابانى ..

- « هل تحبّ (السوشى) ؟ إن من يأكله إنما
يرهن على شجاعة حقيقية .. إن التوابل لا تناسب
قرحتى ، لكنى كفت عن تصديق الأطباء منذ بلغت
الستين ولم أمت ! »

كان ثرثاراً بحق ، وأدركت أن هذا سيساعدنى
على أن ألتزم الصمت ..

سأظل صامتاً أصغى حتى يقرروا أن ينزعوا أول
ظفر من أظفارى .. عندها سأتكلم عن كل شىء ..
سأحكى عن مرطبان المربى الذى أكلته كله فى
بيت خالى ، وعن آلام البواسير ، وعن فشل
قصص حبى كلها .. سيحتاجون إلى تخديرى من
جديد كي يسكتونى قليلاً ..

أما الآن .. فلاخرس ..

قال (دونالسون) بفم ملىء بالضفادع
وصراصير البحر :

- « منذ أيام لا أكثر كنت فى (فيرجينيا)
أمارس حياتى الجديدة بشيخ أمريكى متقاعد ..
ثم حدثت تلك الضجة .. لقد عثر الصحفيون على
قائد الفرقاطة الأمريكية التى أسرها اليابانيون
فى أثناء الحرب .. تكلم الرجل كثيراً .. وعرفت
ماكنت أتمنى لو سمعته : إن الصناديق التى
قمت بتعبئتها منذ ثلاثين عاماً مازالت
سليمة .. لم تغرق .. إنها فى مكان ما فى
اليابان .. وهكذا حزمت حقائبى وجئت إلى هنا ..
كان لا بد من استردادها .. إنها ذات أهمية
لا يعرفها أحد سوى .. وهأنذا قد نلت
ما أردت .. »

نظرت له فى فهم ، وأفلت منى السؤال :

- « هل .. هل وجدت الصناديق ؟ »

- « إنها معافى هذا القطار ، ولسوف نشحنها
من (ناجويا) إلى الولايات بعد ساعات .. ماذا
كنت تظن ؟! »

★ ★ ★

٨ - البحث عن العجوز ..

(رفعت) قد اختفى !

حقاً لا توجد آثار مقاومة ، ولا يوجد عنف ،
لكن الكهل فريسة سهلة على كل حال ، وما كان
ليبدى مقاومة أكثر مما تبديها أفراخ قطاة
يختطفها ثعبان فى غياب أمها ..

حقاً قد أخطأت حين تركته نائماً وحده تحرسه
الفتاة ، وغادرت المكان .. كان نائماً فى سلام
كطفل ، وقد انفتح فمه وراح يغطّ دون انقطاع ..
لذا تبادلنا الكلام مع الفتاة همساً ..

اسمها (أوشيمو) .. يابانية .. تتكلم بعض
الصينية ، وأنت صينية تتكلم بعض اليابانية ، لكن
التفاهم بينكما كان كاملاً .. إنها تعمل مع

(تاكيجى) وقد قابلتها مرة أو مرتين ، وزرتها
مرة من قبل .. إنها جذابة رقيقة ، وتجذب
أى رجل عادى ، لكنك لست رجلاً عادياً ...

★ ★ ★

- « لاتروهن يا (أناندا) .. لاتحدثوهن
يا (أناندا) .. وإذا تحدثت إليكم واحدة منهن
فلا تكثرثوا لما تقول يا (أناندا) ! » ..

★ ★ ★

حقاً كان (جوتاما) يبالغ قليلاً ، وكأن النسوة
أفاع رقطاع .. لكنك تمسكت بلبّ النصيحة وعرفت
كيف تحتفظ ببكارة القلب والجسد ، وهما مقدسان
لكاهن (النافاراي) .. وبعد لم يكن هذا أول
ولا آخر إغراء فى الحياة .. إن فى روحك شيئاً
يجذب النساء كما تجذب الزهور النحل فى
الأرومة .. وهن يقرأن فى عينيك التحدى الذى

يقول إنك لا تلين بسهولة .. لهذا يصمم ..
لهذا يحمن .. لهذا يضعك فى كفة الميزان
ويختبرنك طيلة الوقت ..

وكالعادة تجتاز الاختبار فى كل مرة ..

تقول لك (أوشيمو) همساً :

- « هل تثق به ؟ أعنى صاحبك الأصلع هذا ؟ »

فتومئ إلى (رفعت) النائم ، وتهز رأسك :

- « كنفسى .. إنه يملك جسداً ذابلاً ، لكن

قلبه زهرة .. »

تقول لك فى قلق :

- « لقد هاتفنى أحدهم ليلة أمس .. ثمة

عملية نقل مربية تمت من معبد (ميكادو) إلى

المحطة .. هل تعرف ما تمّ نقله ؟ »

تتسع عيناك اهتماماً ، وتقول ضاغطاً على

حروف كلماتك :

- « صناديق .. صناديق مغلقة بشرائط من
الألومنيوم ومختومة بالشمع الأحمر .. صناديق
يبدو عليها القدم .. »

- « أصبت .. »

وتنظر إلى ساعتها الأنيقة وتقول :
- « كل الدلائل تشير إلى أنها ستشحن في
قطار الواحدة بعد الظهر إلى (ناجويا) .. هناك
من حجز ديواناً كاملاً وعربة بضائع في هذا
القطار .. هل تعرف ما (ناجويا) ؟ »

- « أحسبه ميناء ؟ »

تقول وهي تجوب الغرفة الضيقة كأنها نمر
حبيس :

- « بل أكبر موانينا .. إن في (طوكيو) ميناءين
هما (شيبورا) و (يوكوهوما) ، لكنهما لا يصلحان
للسفن الكبيرة .. الأمر يتعلق إذن بعابرة محيطات .. »

الآن تنفك جدائل اللغز ، ويستطيل الحبل فى
يدك شيئاً فشيئاً ..

لقد حانت اللحظة المناسبة لكى ينقل هؤلاء
الصناديق من معبد (الشنتو) إلى القطار ..
والقطار سينقلها إلى الميناء .. بعدها لن يسمع
أحد عن الصناديق مرة أخرى ، ولأعوام طويلة ..
تنهض ، وتتأكد من أن معك كل شىء .. ثم
تنظر إلى الكهل الراقد الذى لا يعى حرفاً مما
يحدث .. تقول فى ضيق :

- « سأذهب إلى هناك .. ولكن ماذا عن طائرة
هذا ؟ »

تهزّ (أوشيمو) شعرها ، وتقول :

- « أنت تذهب .. أنا أبقى .. لادور لى هناك ،
لكننى سأقدم لصديقك تفسيراً مرضياً حين
يصحو .. »

تهزّ رأسك ، وتشعر بشيء من الاطمئنان ..
لا بأس .. من الخير أن يعود (رفعت) إلى
وطنه الآن ، ومن الخير أن تبقى الفتاة هنا ..
أنت لا ترغب فى أن يتدلى ثوبك الطويل على
الأرض من خلفك ، فيمسك به أعداؤك .. من
الخير ألا تكون لك ذيول فتعضها الذئاب ..
ودون كلمة أخرى غادرت المكان ، عازماً
على الاتجاه إلى محطة السكة الحديدية ..

★ ★ ★

كان كل شيء على ما يُرام ..
لقد وضعت المنظار الأسود على أنفك ، وارتديت
السترة الأنيقة التى أعطتك إياها الفتاة .. ألصقت
الشارب الأسود مغولى الطابع على شفتك السفلى ،
وهكذا صار لك وجه آخر .. لم تعد زهرة زرقاء
لمن يدقق بعناية ..

ودنوت من المخازن ..

رائحة المازوت تفعم الجو ، وهدير القطارات
الغضبي المشتاقة إلى الرحيل .. تدنو من الباب
الرئيسي وترمق الحمالين يروحون ويجيئون ،
وأكثر من (لودر) صغير يحمل صناديق
متباينة الحجم والمظهر ..

يدنو منك أحد العاملين هنا ، وهو يحمل
لوح كتابة ، ويبدو كمن وقع على كنز ..
يسألك عن شيء ما .. بالتأكيد يسألك عما تريد
هنا ..

تنظر حولك فتتبين ألا أحد يرى ما سيحدث ..

وما سيحدث هو وضغطة سريعة على صدغ
الرجل .. بالذات على مركز (الكارفا) الثرى
الذى يشع إلى الجسد كله ..

النتيجة هي أن الرجل يتهاوى كالبالون الذي
انتزع الخيط من عنقه ، وتظفر أنت بثيابه
المبللة بالعرق .. تستبدلها خلف صندوق عملاق ،
ثم تخرج فى ثوب جديد ولوح الكتابة بين
يديك ..

والآن تفهم ببطء - لكن بثقة - ما يحدث
هنا ..

الحق أن عدد الرجال شريرى المظهر
أكثر من اللازم هنا ، ويمكنك بعين الخيال أن
ترى السلاح الذى يدسه كل منهم جوار
خصره ..

إنهم يراقبون كل شىء .. يراقبون الصناديق ..
يراقبون الحمالين .. يراقبون المدخل .. يراقبون
من يراقبهم ..

لقد كانت الإخبارية محقة بالتأكيد ..

هذا المناخ المتوتر يقول إنها محقة .. ومن
المؤكد أنهم ينقلون الصناديق إلى القطار الآن
أو سيفعلون ذلك حالاً ..

ديوان كامل فى القطار ، وعربة بضائع
محجوزة لهم بالكامل ، وكل هؤلاء العمال
الذين يبدون كأنما هم ملكية خاصة لمدبر هذه
العملية ..

إنهم أقوىاء حقاً .. واسعوا النفوذ والثراء ..
وحتى أنت أيها (الزهرة الزرقاء) لك حدودك ،
ولك الجبال التى لن تبلغ أعلاها ، والأنهار التى
لن تسبر غورها ..

إن إيقاف القطار ، ومنع شحن الصناديق ،
لأمران يحتاجان إلى فريق من الرجال .. إلى
جيش .. إلى اتصالات ..

سيكون عليك أن تبلغ من تبقى من رجال
(تاكيجى) .. عليهم أن ينتظروا فى (ناجويا)
ويحاولوا إجهاض نقل الصناديق إلى عابرة
المحيطات بأى ثمن ..

وبعدها ؟ عليك أن تخبر الصينيين .. هم وحدهم
يعرفون الخطوة التالية .. فقد كانت على عاتقك
مهمة معينة ، وقد عجزت عن تحقيقها .. لقد
كانوا هم الأقوى والأسرع والأكثر علماً ..
لكن لم يضع كل شىء بعد ..

★ ★ ★

وملهوفاً تعود إلى دار (أوشيمو) كى تخبرها
بالتفاصيل ..
لكن (أوشيمو) لم تكن هناك .. ولم يكن
(رفعت) ..

فقط وجدت الورقة الموضوعة حيث كان صديقك
يغفو ، ورائحة المخدر التي لا يمكن أن تخطئها ..
إن أنف (النافاراي) الحساس لا يفوت شيئاً ..
الورقة تقول بالإنجليزية :

- « إن سلامة صاحبك مسئوليتنا .. لو كنت
مهتمّاً به يمكنك الاتصال برقم الهاتف (....) ،
ولسوف يتم ترتيب لقاء .. »

هكذا إذن .. هذا نوع من المساومة .. حياة
(رفعت) أو أذناه مقابل ... مقابل ماذا ؟ فى الغالب
هم يعرفونك جيداً ، ويعرفون علاقتك بالحفريات فى
(تشوكوتيان) .. إذن هم يريدون رجلاً لهم هناك ..
يريدون رجلاً يعرف كيف يهربّ المزيد من
العظام الثمينة ..

وأين (رفعت) الآن ؟ وأين (أوشيمو) ؟!
إن ذلك الإحساس فى مؤخرة رأسك ؛ الإحساس

الذى تشعر به الصخرة نحو الغدير ، والذى تشعر به
السحابة نحو الأيكة .. هذا الإحساس الغريزى
المبهم ؛ الذى علمك المعلم الأعظم أن تحترمه وأن
تعترف به .. الإحساس الذى قد يدعونه الحاسة
السادسة أو السابعة .. لا يهم ..

هذا الإحساس يقول لك ببساطة إن (رفعت) فى
القطار ..

القطار المتجه إلى (ناجويا) الآن ..
هذا يبدو منطقيًا .. إنهم يفرّون بالصناديق
وبرهائهم فى الآن ذاته ..

كم الساعة الآن ؟ الواحدة والرّبع ..
لقد فات الأوان .. تحرّك القطار نحو الغرب منذ
ربع ساعة .. هذه هى اليابان حيث لا تقع معجزات
مثل أن يتأخر القطار نصف ساعة ..

ماذا تفعل ؟ كيف ستفعله ؟

★ ★ ★

ويقول الأخ (ميانج) :

- « هل تعلمت من البرق سرعته ، ومن النمر شراسته ، ومن الشهب تصميمها أيها (الزهرة الزرقاء) ؟ »

- « تعلمت هذا وأكثر أيها الأخ (ميانج) .. »

- « وهل تعلمت من أحقر الحشرات صبرها ومثابرتها أيها (الزهرة الزرقاء) ؟ »

- « تعلمت هذا وأكثر أيها الأخ (ميانج) .. »

★ ★ ★

وقال سائق السيارة اليابانى الذى هو من رجال (تاكيجى) ..

- « نحن نسير بسرعة مائة وستين كيلومتراً يا (هن - تشو) .. هل أنت واثق من أنك قادر على هذا ؟ »

- « أحب أن أعتقد هذا ... »

كان السائق بارعًا ، وقد استطاع بالضبط تحديد
النقطة التي يبطئ فيها القطار عند (أوكايو) ..
ها هو ذا القطار يلوح من بعيد كخط أحمر براق ..
وها هو ذا السائق يحاذيه بالسيارة قدر الإمكان ..

سرعة القطار تبطئ تدريجيًا ، والسيارة
محتفظة بسرعتها .. الآن تبدو عربات القطار شبه
ثابتة بالنسبة للسيارة .. وهو وضع جيد لكنه لن
يدوم طويلًا ..

إنه الجحيم ! كل هذه الاهتزازات والهواء الذي
تحول إلى جيش من الأكف الباردة تصفحك
بلا انقطاع ..

تفتح باب السيارة وتخرج جذعك .. تتشبث ..
الباب يتأرجح بلا انقطاع ، وها هو ذا باب عربة
القطار على بعد ثلاثة أمتار .. وإلى جواره ذلك
القضيب الرأسي الذي سيسمح لك بالتشبث ..

- « الآن ! »

وفى اللحظة ذاتها وثبت فى الهواء ، وكنت
تعرف أنك ستفعلها .. إن فى أعماقك قطاً بريئاً
يقظاً ، لكنه بحاجة إلى من يخرج به إلى السطح
من آن لآخر ..

تعلقت كفك بالقضيب ، واستطعت أن تتمسك
جيداً .. ثم تلقى نظرة على السيارة ، فتجدها
تتقهقر بعدما عجزت عن مواصلة المسيرة ..
الآن لم يعد الأمر بالصعوبة السابقة ..

أنت فى القطار فعلاً .. سرعة جسدك هى
سرعته .. بقى أن تتشبث جيداً .. لا تسقط الآن
وتمت .. حاول أن تجد إفريزاً تضع عليه قدميك ..
حاول أن تقاوم تلكم الرجفة الأرضية فى ساقيك ،
فهى لا تنتمى إلى عالم (الكارما) ، وبالتأكيد
هى لا تليق بك ...



تعلقت كفك بالقضيب ، واستطعت أن تتمسك جيداً .. ثم تلقي نظرة
على السيارة ، فتجدها تتقهقر بعدما عجزت عن مواصلة المسيرة ..

أنت هنا ..

فكر في هذا ..

تأمله ..

عليك أن تجد ثغرة واحدة تنفذ منها إلى
الداخل ..

وبعدها ستكون المواجهة ..

★ ★ ★

٩- الحقيقة .. كل الحقيقة ..

وكان (دونالسون) مازال يثرثر ..

كان قد شرب جرعات عديدة من (الساكى)
الساخن ، ولو كانت هناك عقدة ما فى لسانه فقد
انتهى أمرها منذ دهر ... الآن قد احتقن وجهه
وأرنبه أنفه ، وراح يلهث بلا انقطاع ، واحتشدت
حبيبات العرق على جبينه ..

إن بقاء هذا الرجل حياً ساعة أخرى لمعجزة
حقيقية ..

قال فى غلّ :

- « حقوق للصينيين ؟ هراء ! أنا كنت معهم
عام ١٩٣٧ وعلمت هؤلاء القروء الصفر كل
شئ .. علمتهم كيف ينخلون التربة ، وكيف

يصنعون قوالب من جصّ للحفريات ، وكيف
يزيلون الشوائب .. كل ما يعرفونه هو بفضلى
أنا ، وبعد هذا يتحدثون عن حقوق ؟ »

كان قد دخل فى الطور المعتاد للسكرى ؛ فهم
يخوضون معارك وهمية بلا مبرر ، ويتشاجرون
ويصرخون ويلوحون بقبضاتهم ، ثم ينهارون
ويكون بلا داع أيضاً ..

- « إن رجل (بكين) ملكى وحدى .. لقد وجد
سواى بعض الأسنان أو الفكوك .. لكنى وجدت
هياكل كاملة .. هل تسمعى ؟ هياكل كاملة ..
كم تساوى هذه الهياكل الآن ؟ وكم يدفع لها
أى متحف تاريخ طبيعى فى الولايات أو بريطانيا
العظمى ؟ إن للثروة صوراً عديدة ، لكنها قلما
تتخذ شكل بقايا عظمية وصخور .. »
وراحت يده ترتجف ..

نظرت لليابانيين الواقفين حولي ، فأدركت أنهم يهابون الرجل حقاً ، ولو لم يكن الأمر كذلك لطلبوا منه الكف عن الشراب والثرثرة ..

- « خذ عندك ذلك الأحمق (ميتسوجوياما) » .

ونظر من نافذة القطار يرمق الأشجار الراكضة :

- « لقد حسب أنه ظفر بكنز .. وها هو ذا ينقل محتويات سفينته في الظلام إلى (طوكيو) .. لقد استعمل مضيق .. هك ! مضيق (أولاجا) ليدخل سفنه منه ، وفي سرية تامة حمل رجاله الصناديق الثقيلة إلى أحد معابد (الشنتو) المهجورة خارج المدينة .. كل هذه المعابد لها عالم تحت الأرض شديد الاتساع ، ويسمح بإخفاء مدينة كاملة .. لا بد أن الرجل كان يعرف هذا المعبد جيّداً ..

« ويبلغ الرجل تقريره إلى رؤسائه .. كانت
الفرقاطة الأمريكية تحمل بعض المؤن والذخائر
لكن .. هك ! لاشيء آخر .. »

ومسح فمه ، وضحك لخاطر عنّ له ثم قال :

- « وتمرّ سنو الحرب .. لقد عاش (جوياما)
واستطاع أن يرى اندحار بلاده فى المحيط الهادى ،
وحضر معركة (ميداوى) ، بل وعاش ليرى أول
قنبلة ذرية فى التاريخ تهوى على (هيروشيما) ..
ودعنى أقل لك إن هذا شعب صلب .. شعب عنيد ..
لوسألونى لنصحتهم بإلقاء القنبلة .. لاشيء
سوى (اليورانيوم) المنشطر يقدر على تحطيم
إرادة هؤلاء القوم .. »

كدت أعترض ثم وجدت أن آرائى فى الأسلحة
غير التقليدية لن تروق للرجل .. بل ستفسد
عليه كل هذا (التجلى) الثرثار ، ويوقف وابل

المعلومات المنهال على رأسى .. ترى هل
سأستفيد بها يوماً ما ؟

أردف (دونالسون) وهو يصبّ لنفسه المزيد :
- « ظل (جوياما) صامتاً طيلة الحرب
وبعدها .. لم يتذكر - أو يظهر أنه تذكر - الصناديق
إلا عام ١٩٦٣ ..

« يبدو أنه عاد لمعد (الشنتو) وحده ، ويبدو
أنه قرر أن ينزل وحده ليرى ما بالصناديق ..
« حسن .. هك ! لا أحد يعرف بالضبط
ما حدث بعدها .. يُقال إنه شوهد يمشى نحو
الأشجار شبه ملتاث وانتحر .. أعنى أنهم
وجدوا جثته التى انغرس فيها السيف على
طريقة (الهاراكيرى) الشهيرة .. لاتنس أنه
رجل عسكرى ، وهؤلاء لا ينتحرون بالسلم أبداً ..
فقط الغربيون يفجرون رءوسهم بالرصاص

أو يبتلعون علبة كاملة من أقراص المنوم ..

« هنا لابد من سؤال واحد جيد .. لماذا انتحر ؟ لا أحد يعرف .. لكن انتحاره كان مفيداً لأنه ساعد على تحديد دائرة اهتمامه ، وكان معبد (الشنتو) الذى مات بقربه ، مع شهادة بعض الجنود هى الخيط الذى بدأنا منه فى بحثنا ..

« جئت أنا واتصلت بمن يهمهم الأمر .. أناس لا يتكلمون كثيراً ويعملون أى شىء مقابل المال .. كان فى معبد (الشنتو) شيخ كاهن مسن .. إنه من ذلك الطراز الذى يعيش بالقصور الذاتى وعلى سبيل العادة .. أنا أكره إيذاء الشيوخ لأننى .. هك ! صرت منهم .. لكن للضرورة أحكامها .. وكان على الرجل - الذى تمزقت أذنه اليمنى - أن يقودنا عبر الممرات شديدة التعقيد أسفل المعبد ، ويرينا الصناديق .. »

ومطّ شفته السفلى باحتقار وقال :

- « ولكن دعنى أؤكد لك أن مايقال عن قوة تحمل هؤلاء الكهنة اليابانيين على المستوى الجسدى والروحى خرافة .. لقد ملأ الرجل الدنيا صراخاً وعويلًا بمجرد أن قطع (إيكو) أذنه ، وكأن الأمر يستحق كل هذا الضجيج .. »

وابتسم وأشار إلى أحد اليابانيين الواقفين - الأخ (إيكو) طبعًا - فهزّ هذا رأسه فى استمتاع ، وأخرج من حزامه خنجرًا لوّح به فى الهواء على سبيل التحية ثم أغمده .. يبدو أنه فهم أن الكلام موجه له ..

سألت (دونالدسون) سؤالاً لم أطق كتمانته :

- « لحظة .. ما هى الظروف التى أدت إلى تحوّلك من عالم آثار إلى زعيم عصاة يقطع آذان الرهبان الشيوخ ؟ »

كان سؤالاً خطراً لكنه مهم .. فأنا لا أترك
أبداً جانباً مظلماً من طباع الإنسان يمرّ على
دون أن أحاول فهمه ، حتى لو كان هذا آخر عمل
أؤديه ..

قال (دونالسون) :

- « كل الناس طيبون كريمو النفس حتى يحدث
ما يقف عائقاً أمام مصالحهم ! لقد أوشكت حياتي
على الانتهاء دون أن أعيشها لحظة .. هك ! لقد
عشت كمجذوب لا يكف عن التفكير في إنسان
(بكين) .. فقدت أسرتي وماتت زوجتي وأنا أحلم
بإنسان (بكين) .. كل الثراء والمجد اللذين
ينتظراني لو لم يكن (ثورنوايلد) نحساً
و (جوياما) وغداً .. والآن لم يعد من العمر
ما يكفي للاستمتاع .. حين تصير أعوامك

قصيرة مثلى لا يعود لديك وقت للرقعة .. إنك ..
هك ! ستمزق أحشاء كل من يقف فى طريقك
حتى عن طريق الخطأ .. »

سألته من جديد :

- « وكيف تدفع لكل هؤلاء البطجية ؟ »

أخرج سيجاراً غليظاً ، وراح يحاول التصويب
عليه بالقذاحة خمسين سنة كاملة حتى تمكن
من اصطياده ..

نفث سحابة كثيفة من الدخان فى وجهى ، ثم
قال :

- « إن لى صلاتى هنا .. ثم إننى أسحب من
رصيد ما يساويه هذا الكشف يوماً ما .. »

سيجار ولفائف تبغ ! هذا الرجل يمتحن
جسده العجوز أكثر من اللازم ، ودعوت الله أن
تصبيه نوبة قلبية الآن حالاً وننتهى ..

قال الأمريكى وهو يمتص السيجار :

- « المهم .. لقد وجدت الصناديق كما قلت لك ..
كان اثنان منها مفتوحين بما فيهما من
صخور وقطع عظام .. الصندوق الثالث - وهو
أهمها - كان مغلقاً لكنه ليس الغلق المحكم الذى
وضعت عليه يوماً ما من عام ١٩٤١ .

« ثمة من فتح الصندوق ثم أغلقه .. أغلقه
فى غير براعة .. ويمكن أن أقول دون خطأ كبير
إن هذا (جوياما) ..

« ما الذى وجده (جوياما) بالصندوق ؟
ما الذى جعله يعيد غلقه ثم يفرّ فى ذعر لينتحر
بسيف فى معدته ؟ هه ؟ هل يمكنك أن تخبرنى ؟ »
كان قد دنا برأسه منى كثيراً .. وعيناه شبه
مغمضتين فى وجهه المنتفخ .. إنه ممن يتمتعون
بموهبة البخر من الفم .. قلت كى يبتعد عنى :

- « ربما وجد مرآة ولم يتحمل شكل وجهه ؟! »

« لا .. لا .. لقد أصابه الذعر .. لأنه لم

يتحمل ما رآه من (الشيء) .. »

- هنا بدأ الفأر يلعب فى عبّى .. (شىء) ؟ هناك

(شىء) على ما يبدو .. ومن الواضح أنه

ليس جميل المنظر ..

سألته فى قلق :

- « أى شىء بالضبط ؟ »

اهتزّ ضحكاً وترجرج بطنه عدة مرات ، ثم

قال :

- « الشىء الذى وجدت بقاياها أنا الآخر مختلطة

بالصخور .. لقد تعاونت مع صينيين على وضعها فى

ذلك الصندوق وتأكدت من غلقه .. إن هذا الصندوق

بالذات لا يضمّ رفات رجل (بكين) .. بل رفات من

فتك برجل (بكين) منذ نصف مليون عام ! »

قلت فى صبر :

- « لحظة .. برغم غرابة القصة ، فأنا لا أجد
الثور على رفات قديم - ولو كان رفات (يوليوس
قيصر) نفسه - مبرراً للانتحار .. »

- « هذا يعنى أن الرجل قد جُنَّ .. هك ! إن
الموضوع مثير بحق .. ألا ترى هذا معى ؟! »

- « بلى .. بلى .. »

أمسك بالترموس وصبَّ لنفسه بعض الساكى ،
ثم قال :

- « كانت خطتى هى أن أبيع بقايا رجل (بكين)
أولاً ، ثم أعكف على دراسة بقايا ذلك (الشيء)
فى أمريكا .. سأخذ راحتى ، وأكتب تقريراً علمياً
لم ولن يكتب .. »

« كنت صغير السن وقتها ، وكان أمامى الزمن
كله ، وكان الأمريكان متحمسين لأخذ هذه البقايا

التمينة ودراستها .. فريق عمل رأسه طبعًا ..
لقد جاءت الفرقاطة (إيليت) فى سرية تامة
لتأخذ الصناديق ، لكنها تأخرت يومين أكثر
من اللازم .. يومين كانا كافيين كى تدخل أمريكا
الحرب ضد اليابان ، وكى أفقد أنا كل شىء ..
كل شىء ! »

★ ★ ★

هنا دخل الديوان أحد اليابانيين ، ودنا من
(دونالسون) ليقول له باليابانية - وبصوت خفيض
بلا داع - شيئاً ما .. بدا بعض الاهتمام على
وجه الأمريكى وبدوره أمر الرجل بشىء آخر ..
هزّ اليابانى رأسه وانصرف ..

وعلى الفور جرّد ثلاثة من الرجال أسلحتهم
النارية والبيضاء ، وغادروا المكان لاحقين
بالأول .. كانوا باردين برود المحترفين برغم
أهمية الخبر الظاهرة ..

نظر لى الأمريكى فرأى علامات عدم الفهم
على وجهى .. أمارات الغباء إذا شئنا الدقة ،
فقال :

- « لا عليك .. هناك متسلل إلى القطار .. لقد
رآه أحدهم يثب إليه من سيارة .. وهؤلاء الرجال
سيؤكدون من أن مخزن البضائع على ما يُرام ..
« لا خطر هناك .. هك ! لا خطر على الإطلاق .. »

★ ★ ★

١٠- أوقفوا الهول الآتى ..

القطار اليابانى الأثيق يواصل رحلته السريعة
نحو (ناجويا) ..

وفى الديوان الذى تحول إلى غرفة عمليات
(دونالسون) كنت جالسًا .. أريح كوعى على
إطار النافذة وأرمق اليابان الراكضة أمامى ..

ترى أين (هن - تشو - كان) ؟ لماذا ذهب
وتركنى ؟ وماذا سيفعل حين يعود فلا يجدنى ؟

كيف له أن يعلم أننى هنا فى هذا القطار ؟
وكيف ينتهى هذا الموقف ؟ هل سينقلوننى معهم
إلى الولايات أم يتخلصون منى فى الميناء ؟

بما أعرفه عن (الزهرة الزرقاء) أعتقد أنه
سيتصرف ، لكن كيف ؟

ونظرت إلى المنضدة أمامي .. بينى وبين
(دونالسون) منضدة صغيرة مثبتة بأرضية العربة ..
إن عليها مظفأة تبغ ثقيلة تصلح لأهشم بها
رأس الرجل ، فقط لو كنا وحدنا .. لكنه محاط
بهؤلاء البطجية طيلة الوقت ..
كيف يمكن أن ...

★ ★ ★

هنا اقتحم الديوان أحد اليباتيين .. كلهم يجيء
من خلفية القطار .. أعتقد أن عربة الشحن خلفنا
مباشرة أو تفصلنا عنها عربة أخرى .. وواضح
أنه قادم من هناك ..

صاح باليباتية في فزع ، ونظرت إليه فوجدته
ملوثاً بالدماء .. كأنما سكب عليه أحدهم دلوًا
من الدم ، وب نظرة طبية أدق عرفت أن هذا ليس
دمه .. هذا دم واحد آخر كان معه !

هَبَّ الرجال ، وتأكد اثنان منهما من حشو
سلاحيهما ثم لحقا به ، وسرعان ما توارى
الجميع .. عربة القطار التى تجمد الدخان فى
هوائها قد صار بها أربعة أشخاص لا أكثر .. أنا
و (دونالسون) واثنان من رجاله ..
سألته فى حذر :

- « مشاكل .. هه ؟ »

ابتسم فى ثقة ، وقال :

- « لا داعى للآمال الزائفة .. هناك متاعب ما ..
يبدو أن المتسلل شديد المراس ، لكن الموضوع
منته على كل حال .. »

ومرت ثوان ثقيلة .. دقائق ثقيلة ..

صوت طلقات رصاص .. صراخ مريع .. مريع ..
ثمة طرقات على باب الديوان الذى يقود لباقى
القطار ؛ الجزء الأمامى منه ..

فتح أحد الرجلين اليابانيين الباب ، فبرز وجه
المحصل الممتقع .. قال شيئاً ما ، فلوّح الرجل
بفوهة مسدسه تحت أنفه وقال شيئاً آخر فظاً ..
المحصل يتراجع فى زعر والباب ينغلق من جديد .

قصة واضحة جداً : « معذرة يا سادة .. هل
صوت الطلقات هذا من عندكم ؟ »

« لا تتدخل فيما لا يعنك يا رجل .. فهذا لن
يفيد صحتك .. »

فجأة صرت أفهم اليابانية جيداً ..

صوت طلقة أخرى ..

صرخة ..

ينفتح باب الديوان الخلفى ، ويدخل أحد الباطجية ..
لم يكن ملوثاً بالدماء ، لكنه كان فى حالة عصبية
غاية فى السوء ، وكان يرتجف كورقة ..

سأله (دونالسون) وقد بدأ يتوتر :

- « (إيكو) ؟ »

- لم يكن هذا هو (إيكو) .. إنما الأمريكى
يتساءل عن أين ذهب (إيكو) .

وكان جواب البلطجى بليغاً جداً .. رفع يده ،
وكانت تقبض على كف آدمية مبتورة .. هذا هو
ما بقى من (إيكو) .. وسرعان ما تهاوى فاقد
الرشد ..

★ ★ ★

نهض (دونالسون) للمرة الأولى منذ رأيتة ..
كان ضخم الجثة بحق ، ولو لم يكن طويل القامة
لبدا كالفيل ببدانته هذه .. إن البدانة مع طول
القامة جعلته صالحاً تماماً ليكون ضلفة باب ..

صاح فى الرجال باليابانية بأوامر لم أتبينها ،
واستدار ينظر لى .. ثم هرع نحو باب الديوان



وكان جواب البلطجي بليغاً جداً .. رفع يده ، وكانت تقبض
على كف آدمية مبتورة .. هذا هو ما بقي من (إيكو) ..

الذى يخرجون جميعاً منه ويعودون جرحى
أو لا يعودون ..

ونظرت فوجدت أن أحد الرجلين يلحق
بـ (دونالسون) ، أما الآخر فوقف جوارى
ممسكاً بمسدس طويل الفوهة - كاتم للصوت
غالباً - وفى عينيه نظرة تقول : « إن ظننت أن
هذه الفوضى هى فرصتك للفرار ، فأنت أحق
بالتأكيد .. »

ومن جديد سمعنا طلقة أخرى ..

وتساءلت : هل يتوقف القطار الآن ؟ من
البدیهى أن يوقف السائق القطار ويتصل بالشرطة ..
لو استطعت أن أضرب هذا البلطجى لفتحت الباب
الآخر وقررت .. ولكن كيف أتمكن من هذا ؟ إنه
يقظ كبعوضة ، شرس كحيوان (الـ وولفرين) ..
وفجأة .. انقطع التيار الكهربى ، لكن الظلام لم
يسدّ لأن النوافذ كانت تدخل ضوء النهار ..

هل أنا واهم أم أن سرعة القطار تنخفض فعلاً ؟
انخفاض غير ملحوظ لكنه يحدث بالفعل .. شيء ما
يحدث هنا ..

صوت صراخ مريع ثم ..

للمرة الأولى أميز هذا الزئير الرهيب .. ليس
هذا زئير أسد ولا دب ولا أى وحش سمعت
صوته .. ليس زئير العواصف ولا .. إنه صوت
وحشى لم يخترع بعد ، كأنه خلط الأصوات الذى
يقوم به السينمائيون فى عملية (الميكساج)
لابتكار أصوات لا وجود لها كأصوات الديناصورات ..

ولمحت وجه اليابانى يتوتر .. لقد زعزع
الصوت هدوءه الداخلى ..

طرقات على الباب الآخر ..

اتجه نحوه والمسدس فى يده ، وتساعل : من ؟

قالها باليابانية طبعًا ، لكن الطارق لم يكن مهذبًا
بما يكفى .. لقد انفتح الباب عنوة ، ليصدم
الرجل فى وجهه .. تراجع للوراء وتحسس أنفه
وترنج مرتين .. وقبل أن يرفع المسدس ثائية
طارت ساق (هن - تشو - كان) إلى وجهه
لتضربه فى الموضع ذاته ..

وفى الثانية ذاتها هبطت القدم لتطير المسدس
من يده ..

لم تكن هناك فى هذه المرة بروتوكولات من
طراز (كيو ساراينا) .. إلخ .. إن الزمن يتطور ،
وفى عصر الأسلحة النارية لم يعد الوقت كافيًا
لطقوس (النافاراي) الكاملة ، وإلا لأفرغ عدوك
مسدسه فى رأسك قبل أن تقول (تشا ساراينا) ..

التطور الثانى المهم هو أن (هن - تشو - كان)
التقط المسدس سريعًا من جوار الرجل الساقط على
الأرض ، وأمسكه فى يده .. كاهن (نافاراي)
لا يحتقر الأسلحة النارية .. غريب هذا !

التطور الثالث هو أن القطار بدأ يبطئ أكثر فأكثر ..

★ ★ ★

صحت فى مرح ملوحًا بذراعى :

- « (هن - تشو) ! كان يجب أن أعرف أنك الأحق الوحيد الذى يثب إلى قطار مسرع من سيارة ! »

كان القلق بادياً على ملامحه ، ولم يبد متحلياً بروح الدعابة على الإطلاق ..

جال ببصره فى أرجاء الديوان ، ثم قال :

- « لاوقت لهذا .. (ريفات) .. هل هذا الباب يُغلق ؟ »

كان يشير إلى الباب الثانى الذى يقود إلى مؤخرة القطار ، والذى خرج منه (دونالسون) ورجاله منذ قليل ..

قلت له فى حيرة :

- « بالتأكد .. إن له مزلاجًا و ... »

- « أغلقه حالاً ! »

وإزاء ترددى عاد يقول بلهجة أرق :

- « لا تخف .. إننى أحمى ظهرك ! »

هرعت إلى الباب فأغلقتة بإحكام بالمزلاج ،
وعدت إلى (النافاراي) المتوتر كوتر القوس ..
قلت له :

- « ما زلت لا أفهم .. ما الذى ... »

وهنا بدأ القطار يتوقف .. هبط تسارعه إلى
سرعة الرجل العادى ثم همدت حركته تمامًا ..
ونظرت عبر زجاج النافذة .. كنا فى المروج
الخضراء وما من مبان فى الأفق ..

- « يبدو أن السائق أوقف القطار .. »

قال (هن - تشو - كان) وهو يلصق وجهه
بالزجاج :

- « لا .. إنه مستمر نحو (ناجويا) بنفس
سرعته .. أنا الذى قام بفصل آخر أربع عربات
من القطار ! »

صحت فى دهشة :

- « آخر أربع ؟ هل جنت ؟ »

قال وهو يحوم فى الديوان كنمر حبيس :

- « لا بد من هذا .. لن أغامر بأن ينتقل الخطر
إلى باقى القطار .. إن هناك أبرياء كثيرين وأطفالاً
ونساء ! »

- « خ .. خطر ؟ أى خطر ؟ »

قال بوجه صلب قدّ من حجر :

- « لا أدرى .. لكنه مريع ولا قبل لنا بمواجهته ..

إن علينا أن نفعل أى شىء لمغادرة هذا القطار
حالاً ! »

لم أحاول الفهم أكثر .. نظرت إلى الباب
الذى جاء هو منه ، وقلت :

- سنغادر من هنا .. هذا سهل ؟ »

- « ليس سهلاً على الإطلاق .. هناك أحمق
قد عزل تلك العرببة عن باقى القطار وقد فعلها
ببراعة .. هناك باب حديدى لم أستطع فتحه ..
يبدو أن المحصل أغلقه حين سمع صوت
الطلقات .. »

- « هل تعنى أن العرببة التى نحن فيها ليست
نهاية الجزء المفصول من القطار ؟ »
راح يعدّ على أربعة أصابع :

- « ثمة أربع عربات .. عرببة الشحن التى
تقع فى نهاية القطار .. عرببة خالية .. ثم

العربة التى نحن فيها .. ثم عربة خالية أخرى
مغلقة بباب حديدى أقوى منى .. »

- « والأبواب ؟ »

- « إنها أبواب أوتوماتيكية ، ومن الواضح
أن انفصالها عن القاطرة قد جعلها موصدة
بإحكام .. »

تحركت فى روحى مخاوف (رهبة الأماكن
المغلقة) ، وصحت فى زعر :

- « أى أننا لن نخرج من هنا ؟ »

- « ثمة فتحة فى عربة الشحن لكننا لن نذهب
هناك بأى ثمن .. وثمة النوافذ .. سنهشم النوافذ
ونخرج .. »

أمسكت بساعده مُلحًا ، وتساءلت :

- « ما الخطر الذى يخيفك إلى هذا الحد ؟ »

نظر لى بعينين لا تريان ، وقال :

- « لا أدري .. لكن العربتين المجاورتين لنا
مليئتان بالدماء والأطراف المبتورة .. لقد رأيتهما
تطير وسمعت صراخ الرجال .. إن هذا القطار
يحمل كابوساً .. كابوساً لم تعرفه الكوابيس من
قبل ! »



١١- الهروب ..

تراجع (هن - تشو - كان) للوراء خطوة ،
ثم فرد ذراعه وضغط الزناد ..

بوم ! كر اااا ش !

تهشم زجاج النافذة ، لكنه ظل بحاجة إلى
مزيد من المعالجة بمقبض المسدس .. إنكم
تعرفون بلا شك متانة زجاج هذه القطارات
اليابانية ..

هنا سمعنا صوت ارتطام مخيف ..

ونظرنا إلى الوراء .. إلى باب الديوان المغلق
بالمزلاج ، فوجدناه يرتجّ كأنما شيء يُضرب به
بلا انقطاع .. وبقوة غير معقولة ..

★ ★ ★

ومن وراء الزجاج الدائرى الذى يفصل عربتنا
عن العربية الأخرى رأيت .. رأيت وجهه
(دونالسون) .. كان يعوى بلا انقطاع .. والدم ..
آه !

لن أصف المشهد بدقة ، لأننى لست ممن
يستمتعون بهذه الأشياء .. أنا أمقت الرعب
المعوى بكل صورته .. رعب الأحشاء الخارجة
والأطراف المبتورة ، وقد كان ذلك المشهد
يحوى كل ما أكره وأخاف فى الكون ..

وأدركت فى جزع أن شيئاً يمسك به ، ويتسلى
بضربه فى الباب ، كما يفعل طفل شقى بدمية
أخته المولولة الصارخة ..

صاح (هن - تشو - كان) بلهجة عسكرية
آمرة :

- « فلنهرع إلى العربية المجاورة ! إنه لن
يترك لنا الوقت الكافى كى »

ولم أكن بحاجة إلى مزيد من الشرح ..

هرعت أركض بقدر ما سمحت سرعتي ، وبالطبع
انتظر الفتى حتى رأى أخرج من باب الديوان ،
ثم لحق بي ..

وفى الظلام وقفنا .. فى تلك الفجوة ما بين
العربتين ، والتي تبطنها أرضية شبيهة بالأوكورديون ..
مددت يدي إلى جيبى وبحثت عن
(النيتروجلسرين) .. دسست قرصاً تحت لسانى
كى لا أموت فى الثانية ذاتها ..

إننى لا أحتمل هذا .. رباه ! أنا لا أحتمل هذا ..
أغلق (هن - تشو - كان) باب الديوان
خلفنا ، ثم هرع إلى العربة وأنا خلفه ..

كانت مظلمة اللهم إلا من نور النهار الداخلى
من النوافذ .. وكانت خالية تماماً ، إلا من بعض
مقاعد أنيقة صامتة ..

سألت الفتى وأنا أشير إلى نهاية العربة :

- « هذه الناحية مغلقة بباب حديدى كما قلت ؟ »

- « نعم .. »

حاولت أن أنسق الأمور فى ذهنى ، فلم أستطع
أن أجد الترتيب الزمنى الملائم .. قلت له وقد
بدت قصته غير مترابطة :

- « لحظة .. كيف استطعت فصل العربات ومتى

دخلت هذه العربة ؟ »

تنهد فى سأم وقال :

- « دخلت من مخزن البضائع - ولم يكن هناك

شئ مريب - إلى العربة الثانية ، ثم خرجت من
سقفها .. بعدها واصلت المشى أو الزحف على
السقف ، ثم سمعت الصراخ والزئير ففهمت
ما يحدث وقررت أن أفصل العربات .. كان الباب
الحديدى مغلقاً لهذا خرجت من هذه الفتحة .. »

وأشار إلى السقف وأردف :

- « وقمت بفصل العربات ، ثم تسلقت ثانية
لأعود إلى العربة من جديد ، وأقرع بابك .. »

قلت له وأنا أنظر إلى فتحة السقف :

- « لكنها ضيقة جدًا .. مستحيل أن تسمح
لناب ... »

- « تسمح لى أنا لكنها لا تناسبك حتمًا .. »

قلت له وقد بدأت أفهم :

- « حين كنت أنت فى مخزن البضائع .. ألم
تقم بفتح أحد الصناديق ؟ »

هز رأسه ، وبلل شفته السفلى بلسانه :

- « بلى .. كان على أن أعرف .. لم أفتح
الصندوق تمامًا لكنى كشفته بما يكفى .. وكان
ما بداخله رهيبًا .. »

- « إذن أنت من أعاد لهذا الشيء حريته .. »

- « أظن هذا .. »

ودون كلمة أخرى أطلق الرصاص على إحدى
النوافذ ، وراح يهشم زجاجها بالمقبض ..

كان صوت الزئير يتعالى من العربة المجاورة ،
وأدركت أن الخطر صار دانيًا بحق ..

قلت له وأنا أتحرق شوقًا للهرب :

- « أنت أولاً .. »

- « بالعكس .. لا بد من واحد يحمي ظهرك ..

أنت أولاً »

- « لا بد من واحد يتلقانى على الأرض .. إن

الارتفاع شاهق ولسوف أهشم عنقي .. لقد
فعلتها مرة حين تعطل القطار على مشارف

(بنها) و »

- « أنت أولاً ! »

وهكذا وجدت نفسي أحشر كتفى فى إطار النافذة ..
ثم وجدت أن الأسهل أن أفعلها بالعكس .. تشبثت
بكفى الفتى وأدليت ساقى خارج النافذة .. وهوب !
وجدت نفسي ملقى على الأرض جوار القطار ، وكل
عضلة فى جسدى تؤلمنى ، وكل عظمة مهشمة ..

وتتحيت جانباً بينما (هن - تشو - كان)
يخرج من الإطار بالطريقة الصحيحة المثلى ،
وكما يفعلون فى السينما ...

قلت له فى رضا وأنا أجمع عظامى وأنهض :

« قد نجونا .. هذه النافذة لن تسمح له

بالخروج .. »

- « أنت واهم .. » - قالها وهو ينفذ الغبار

عن ثيابه - « إنه يستطيع عمل أى شىء .. »

ووقفنا نرمق العربات الأربع الهامدة ..

نرمى العربات التى يجول فيها خطر ظل غافياً
نصف مليون سنة ، ثم أنعشه عسكرى يابانى اسمه
(جوياما) .. وبعدها أعادته للحياة الكاملة حماقة
كاهن من (التبت) اسمه (هن - تشو - كان) ..

من الواضح أنه لم يمت قط .. لقد آذاه غياب
(الأكسجين) كل هذه الأعوام ، ودخل فى سبات
عميق ، ولم يفق منه إلا حين وصل إليه الهواء ..
لا بد أن (جوياما) رآه يتحرك .. لا بد أنه أدرك
الهلول الذى تسبب فيه .. لهذا فقد صوابه .. أغلق
الصندوق كيفما اتفق وانتحر كى لا تطارده
الكوابيس بقية حياته ..

لكن السؤال المهم هو : هل كان الشئ كله
داخل الصندوق ؟ إذن هو مسخ صغير الحجم حقاً ..

ولم أفهم حتى رأيته هناك ..

خلف النافذة حيث كنا نقف ..

★ ★ ★

١٢- المحرقة ..

كان أول ما رأيته يشبه ممصاً كبيراً ..

ثم بدأت أتبين قدماً هلامية خضراء اللون ،
تتحسس إطار النافذة في جشع .. قطرات من سائل
أخضر شنيع تنساب ببطء على جانب القطار ..

كانت صورتنا تنعكس على المادة الجيلاتينية
اللامعة ، وهنا فهمت ما هناك .. إن الصورة ذاتها
تترجرج .. تتشوه ببطء .. للحظة خيل إلى أن
وجهينا في الانعكاس يصرخان هولاً ثم يتفتتان ..

الذعر يملكني ، والرغبة في الفرار بأى ثمن ..

لا سبيل لذلك .. إنه سيجدنا حيثما كنا ، ولسوف
يفعل ما يشاء بنا .. لأنه لا شيء يقف أمام الشيء ..

الهلع يتملكنى .. ثم يعمّ جسدى استرخاء غير
عادى .. استسلام تام لمصيرى ، وما يشعربه
الفأر حين يحاصره القط فى ركن الكرار ..

الحق أن لهذا الانعكاس تأثيراً منوماً واضحاً ..

ونظرت إلى (هن - تشو - كان) فوجدته
يرتجف ، وشفقاه ترددان كلمات لا أفهما ، لكنها
بالتأكيد من صلوات (النافاراي) القديمة ..

صحت فيه وقد بدأت أسترّد توازنى :

- « لا تضعف يا (هن - تشو) ! إنه ينومنا ..

هذا المسخ يملك قوى نفسية واضحة ! »

بدأ يستعيد قواه .. تراجع بضع خطوات للوراء ،

. وتراجعت معه ..

ونظرنا للشئ فى نافذة القطار ..

★ ★ ★

كان بالفعل أقرب إلى أخطبوط هلامى لا حدود
لمعالمه .. كان يذوب ويتجمد بسرعة لا تصدق ..

دائمًا هناك انعكاسنا .. مئات الانعكاسات
تترقق على جسده اللزج وكل منها يثير الرعب
فى نفسينا .. الرعب والغثيان ..

يسهل أن أقتل نفسى الآن .. هكذا أفهم ما شعر
به (جوياما) اليابانى حين فتح الصندوق ووجد
هذا الشيء يترقق أمامه ..

أخرج (هن - تشو - كان) مسدسه ، وثبت
ذراعه جيدًا ثم أطلق ثلاث طلقات على الجسم
فى النافذة ..

بالطبع لم يحدث شيء كمن يطلق الرصاص
على موج البحر ..

لكن أجزاء انفصلت من هذا الشيء المقزز ..
أجزاء تذكرك بالأحوال التى التصقت بما تبقى

من زجاج النافذة ، وسرعان ما بدأت هذه الأجزاء
تكتسب ممصات وأقدامًا بدورها ، وراحت تحاول
الالتحام بالكتلة الأم ..

قلت لكم إننى فهمت كيف استطاع (دونالسون)
أن يضع هذا الشيء فى صندوق واحد .. إن أى
جزء منه - ولو فى حجم قبضة اليد - يكفى
لبداء الكابوس من جديد ..

والآن يدنو قلب الشيء أكثر من النافذة ..
كان عبارة عن هلام ذاب فيه كل الدم الذى
سفكه وراحت أعضاء بشرية تسبح فيه كما
تسبح عضيات الخلية فى (السيتوبلازم) ..

لقد كان (دونالسون) سعيد الحظ عام ١٩٤١ ،
لأنه وجد المخلوق مختلطاً بالحجر الجيرى ولم
يتحرك .. لكن (دونالسون) رأى ما يكفى كى
يرتاب وكى يضع الصخور كلها فى صندوق مغلق
بإحكام ..

لم يكن (جوياما) سعيد الحظ مثله ، وكذا لم
يكن (دونالسون) حين دخل مخزن البضائع جاهلاً
ما عليه أن يتوقعه .. إن العوينات المهشمة
السابحة وسط الهلام تؤكد لى أنه كان تعس
الحظ ..

وكل الساكى الذى شربه .. ترى هل يسكر
هذا الشيء ؟

وصاح (هن - تشو - كان) وهو يتراجع
متحفظاً كالنمر :

- « هلم يا (رفعت) ! فانبثد ! »

قلت دون أن أبدل من وقفتى .

- « هذا لن يكون ! »

★ ★ ★

وقلت له مفسراً ونظراته المندهشة تمزقنى :

- « هذا الشيء يصعب تدميره .. ولو خرج من هنا لاستحال تدميره .. إن كل طلقة تعطينا المزيد منه ، وعمّا قريب سيكون مستحيلًا أن نجد كل أجزائه .. فكر فى هذا .. إنه مازال داخل القطار يبحث عَنَّا .. وهى فرصة نادرة لأننا نعرف جيدًا أنه ما من جزء منه خارجه .. إن الوباء كله هنا ، ولو أضعنا الوقت فى الهرب فلن نجده حين نعود .. »

صمت ولم يعلق .. لقد وجد كلامى مقتنعًا ، وهو يأمل فى المزيد من التفسيرات ..

قلت له وأنا أتحاشى عينيه :

- « سأتجه إلى مخزن البضائع بحثًا عن شيء يصلح .. أما أنت فعليك أن تبعد تفكيره عن مغادرة العربة ! »

- « هذا سهل ولكن كيف ؟ »

- « عليك أن تعود إلى العربية .. عليك أن تعابته ..
لا تقل لى كيف .. أنت كاهن (النافاراي)
الذى يجيد تفادى رذاذ المطر ، ويمكنه اصطيد
فأر بأنامله .. لكن لا تدعه يلمسك .. أظن هذا
مفهوماً .. »

التمعت عيناه بنداء الأجيال .. لم يكن ممن
يرفضون التضحية بحياتهم لأى سبب مهما كان ،
هو فقط يكره أن يفعل هذا دون داع ..

ولم أتركه يعيد التفكير ، وهرعت - على قدر
ما استطعت من سرعة - إلى مؤخرة القطار ..

- « (هن - تشو - كان) ! »

- « ماذا يا (ريفا) ؟ »

- « تعال وساعدنى على الوصول إلى باب
البضائع ! إنه مرتفع عن الأرض أكثر من
اللازم ! »

هرع نحوى ، وحملنى من خصرى كما يحمل
الطفل دميته ، وسرعان ما وجدت نفسى أتمسك
بإطار الباب ..

قال لى قبل أن أغيب بالداخل :

- « (ريفا اات) .. ماذا لو كاتت بعض أجزائه
تنتظر بالداخل ؟ »

- « عندها سأعرف ذلك متأخرًا ! »

وغبت عن عينيهِ فى الظلام ..

★ ★ ★

أشعلت قداحتى لأتبين موطنى قدمى ..

رباه ! حقًا لم يكن المشهد مما يناسب خيال
المراهقات .. لقد وقعت مذبحه هنا منذ قليل ،
ولم أحب ما رأيت ، كما لم أهم حبًا بما شممت ..



أشعلت قداحتي لأتبين موطئ قدمي .. رباہ ! حقاً لم يكن المشهد مما
يناسب خيال المراهقات .. لقد وقعت مذبحه هنا منذ قليل ..

كانت الصناديق مبعثرة .. صناديق تحوى عظام
(إنسان بكين) .. فكّي (إنسان بكين) .. أسنان
(إنسان بكين) .. ثروة كان سيسيل لها لعاب
أى عطار صينى ممن يبيعون سنّ التنين ..

وكانت هناك بقايا رجال (دونالسون) ..

المرتزقة الذين باعوا حياتهم بالمال لكنهم لم
يحصلوا عليه .. كل ما نالوه هو وعد مؤجل
بالثراء ..

واصلت البحث فى الظلام .. فى ضوء الشعلة
المتراقص ..

ثمة صناديق كتب عليها (Explosive) (مفجّر) ،
وهذا طبيعى بالنسبة لصناديق كانت تستعمل فى
عملية الحفائر .. إزالة كهوف وشق جبال .. لكن
ما حظها من السلامة بعد ثلاثين عامًا ؟ وبعد
كل الرطوبة التى رأتها فى قبو معبد (الشنتو) ؟

لا أظن أن هذا الجزء قابل للتنفيذه ..

ثم وقعت عيناي على أجمل شيء تمنيت أن
أراه .. حاويات كبيرة كتب عليها بالإنجليزية
واليابانية (جازولين) ..

كان عددها ثلاثاً ..

هذا ما أريد بالضبط ..

بقليل من الجهد والحظ الحسن أستطيع أن

ثم عدت أتأمل صناديق المفجرات .. أطفأت
قداحتي ، ثم رحت أهشم الخشب المتآكل الذي
يغلف أحدها .. تحسست بأناملي وشعرت بتلك
الأصابع الباردة الغليظة المتراسة .. اختراع
المرحوم (ألفريد نوبل) المبارك ينتظر منذ
ثلاثين عاماً ..

وبيد مرتجفة حشوت جيبي بالأصابع .. ثم

جرت أول حاوية إلى الباب وركلتها بساقى
لتسقط على الأرض ..

★ ★ ★

تماسك أيها (الزهرة الزرقاء) .. تماسك !
تذكر الاختبار الذى خضته فى سنوات اكتساب
الرجولة ، فى قبو النيران ..

كان ذاك هو الهول ذاته لكنك انتصرت ..
الشيء المقيت ينساب فوق المقاعد ، وثمة
ممس طويل يتجه نحوك فتراجع .. وممس آخر
يجيء من الخلف فتثب فوق المقعد إلى الوراء ..

ويمر شيئان مقيتان فوق رأسك ليلتحما ..
أنت رأيت كيف يمسك هذان الممسان بالشخص
ويشطرانه إلى نصفين .. رأيت كيف ينتزع
الممس الأذرع والأرجل ..

١٧٧

الكتلة المخيفة تتشكل من جديد فى شكل فم
ذى أنياب .. والأياب تقطر بالموت الأخضر ،
ومن حول الفم تبرز عشرات الممسات كلها
تقودك إلى أعماق أعماق الفم ..

ممس يحاول الالتفاف حول قدميك فتثب فى
الهواء وتتعلق بعمود معدنى هناك .. تتأرجح
وتهبط بعيداً ..

★ ★ ★

« كلنا اجتزنناه قبلك .. ليس الأمر مستحيلاً .. »
« لا تدع نيران ذهنك تخبُ ثمانية واحدة .. »
إن تلك الثمانية ستكون الأخيرة .. »

★ ★ ★

ومن جديد امتزجت بالشهب والسدم والإلكترونات
فى مداراتها السرمدية .. صرت بعوضة تتلافى
الأكف الفضة ، وصرت ثعباناً متوتراً يرقد بين

الأعشاب ، وصرت (نافاراي) كما ينبغي أن
يكون (النافاراي) ..

★ ★ ★

المادة الخضراء تغمر الجدران .. إذن
لا جدران ..

المادة الخضراء تلوث الأرض .. إذن لا أرض ..
المادة الخضراء تنتشر في الهواء .. إذن لا هواء ..
وأين ذهب (رفعت) ؟ أين ذهب ؟

★ ★ ★

- « اخرج يا (هن - تشو - كان) ! »
تسمع الصوت وتتنظر إلى النافذة المهشمة
التي ابتعد عنها المسخ كما تمنيت ..
- « اخرج يا (هن - تشو - كان) لو كنت حيًّا ! »

تتقدم - كالسهم - نحو النافذة ، وأنت ترجو
الأيسدها سوط آخر فى أية لحظة ..

- « اخرج يا (هن - تشو - كان) ! فالانفجار
وشيك ! »

تكور جسدك كما يفعل القط .. وتثب من
النافذة إلى الأرض ، وتواصل الدرجة كالثلوج
فوق جبال وطنك ..

ويكون آخر ما تراه هو (رفعت) .. وتتنظر
للوراء فتجد النيران تشتعل فى بركة من سائل
ما تم رشه بعناية حول عربات القطار كلها ..

تنظر للوراء فترى أصابع كالسيجار منتثرة
باتنظام تحت العربات ، وفى كل تجويف منها ..
وفى اللحظة التالية يبدأ الانفجار ..

ليس انفجارًا واحدًا بل سلسلة طويلة منه ..

كل شيء ينفجر .. العربات ترتج .. بعضها
يشتعل .. لكن قوة الانفجار لم تصل قط إلى حد
تدمير عربة منها ..

★ ★ ★

وفى النهاية وقفت - أنا (رفعت) - جوار
(هن - تشو - كان) نلهث ونتبادل النظرات ..
كنت أعرج على ساقى التى هبطت عليها لكنى
سعيد ..

الحمد لله ! ما زال الديناميت قادرًا على الانفجار
بعد كل هذه الأعوام ..

كانت النار تتصاعد شامخة ومعها الدخان الأسود
الكثيف .. العربات تفحمت وبدأ معدنها يذوب
ويتجدد ..

سألت (هن - تشو) لاهثًا :

- « هل تظنه هلك ؟ »

كان صدره يعلو ويهبط بلا انقطاع ، لكنه
استطاع أن يقول :

- « هل تجرؤ على الدنو لترى ؟ »

- لا .. فى الواقع لا .. »

- إذن فلنرحل من هنا قبل قدوم رجال الإطفاء
والشرطة .. سيكون موقفنا فى غاية الحرج
آنئذ .. »

ودون أن ننظر للوراء ابتعدنا ..

★ ★ ★

خاتمة

بعد يومين فارقت اليابان عائداً إلى مصر ..
أعتقد أن (هن - تشو - كان) لم ينتظر
طويلاً قبل الرحيل إلى الصين ..

لقد غادرت عابرة محيطات ميناء (ناجويا) ،
ولم يكن على ظهرها شيء ذو قيمة .. لقد
وجدوا جثثاً ممزقة متفحمة فى العربات التى
انفصلت عن القطار وهم يرجحون حدوث عمل
إرهابى .. لقد اختفت آثار إنسان (بكين) للأبد ..
وإن كانت بعض العظام المهشمة المتفحمة التى
وجدوها تحمل سمات تشريحية خارقة للعادة ..
لكن ما تبقى منها لا يكفى لنتائج محددة ..

وقد سألت الكاهن الأخير قبل الرحيل :

- « هل تلاشى الشيء حقاً ؟ »

- « لا أدرى .. ولو كان الأمر بيدى لدفنت بقاياها

فى معزل عن الهواء .. ربما تحت الأرض بأميال .. لكنى

لأحسبه قادرًا على البقاء حيًّا فى تلك المحرقة .. »

- « وأين تلك الفتاة .. (أوشيمو) ؟ »

ابتلع ريقه ونظر بعيدًا ، وقال :

- « كانت فى العربة الملاصقة لك .. لقد

تعرفت جثتها قبل أن آتى لإيقاظك .. »

ساد الصمت هنيهة ، ثم سألته :

- « لقد فقد الصينيون عظام رجلهم للأبد .. »

« عليهم قبول الهزائم كما يقبل النساك الخبز

الجاف .. »

- « على كل حال ؛ لقد حققنا نجاحًا لا بأس به ،

وإن لم يشعر به أحد .. تخيل فتح هذه الصناديق

فى (اليابان) أو فى (أمريكا) .. كانت أطراف

أكثر من اللازم ستطير قبل أن يعرف الناس

كيف يتخلصون من هذا الكابوس .. »

وصافحته فى حرارة :

- وداعًا يا (هن - تشو - كان) .. كالعادة كنت

أنت الكاهن الأخير الذى حطّم تخيلى لقدرات التحمل
البشرى .. »

- « مازلت ثرثارًا يا (ريفالات) .. إن الكلمات لا
تضيف شيئاً إلى صداقتنا .. »

وكانت هذه نهاية لقائنا هذا .. لكن لقاءات
أخرى كانت تنتظرنا ، وكنا متفاهمين بحق ،
لكنى لا أجسر على القول إننا (فريق) .. هذا
الفتى فريق من المحاربين وحده ؛ فمن المغرور
الذى يزعم أنه عاونه يوماً ؟

★ ★ ★

وحين عدت من (اليابان) كانت بانتظارى
قصة مسلية نوعاً ..

قصة يفح أبطالها ويزحفون ويلدغون ،
ويلتهمون الفئران ..
لكن هذه قصة أخرى .

د . رفعت إسماعيل

القاهرة

روايات همزية الحب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط

الغموض والرعب والإثارة

• صدر من هذه السلسلة •

- | | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| 23 - أسطورة رعب المستنقعات . | 1 - أسطورة مصاص الدماء . |
| 24 - أسطورة إيجور . | 2 - أسطورة النداهة . |
| 25 - أسطورة الجنرال العائد . | 3 - أسطورة وحش البحيرة . |
| 26 - أسطورة المواجهه . | 4 - أسطورة أكل البشر . |
| 27 - أسطورتنا . | 5 - أسطورة الموتى الأحياء . |
| 28 - أسطورة آخر الليل . | 6 - أسطورة رأس ميدوسا . |
| 29 - أسطورة الجاثوم . | 7 - أسطورة حارس الكهف . |
| 30 - أسطورة بعد منتصف الليل . | 8 - أسطورة أرض أخرى . |
| 31 - أسطورتها . | 9 - أسطورة لعنة الفرعون . |
| 32 - أسطورة رفعت . | 10 - أسطورة حلقة الرعب . |
| 33 - أسطورة أرض المغول . | 11 - أسطورة الكاهن الأخير . |
| 34 - أسطورة الشاحبين . | 12 - أسطورة البيت . |
| 35 - أسطورة دماء دراكيولا . | 13 - أسطورة اللهب الأزرق . |
| 36 - أسطورة الفصيلة السادسة . | 14 - أسطورة رجل الثلوج . |
| 37 - أسطورة الدمية . | 15 - أسطورة النبات . |
| 38 - أسطورة النصف الآخر . | 16 - أسطورة النافاراي . |
| 39 - أسطورة التوءمين . | 17 - أسطورة حسناء المقبرة . |
| 40 - وراء الباب المغلق . | 18 - أسطورة الغرباء . |
| 41 - أسطورة فرانكنشتاين . | 19 - أسطورة بو . |
| 42 - أسطورة الكلمات السبع . | 20 - حكايات التاروت . |
| 43 - أسطورة تختلف . | 21 - أسطورة عدو الشمس . |
| 44 - أسطورة رجل بكين . | 22 - أسطورة المينوتور . |

ملحق الكتيب (٤٤)

ردود قراء ما وراء الطبيعة

(د . رفعت إسماعيل مع القراء)

أصدقائي :

لو كان كل شيء على ما يُرام ، فأنا أعتقد أنكم ستقرءون هذه السطور بينما حرّ (يونيو) أو (يوليو) يلهب كل شيء ، ويبلل الصفحات بالعرق .. المشكلة هي أنني - في الأغلب - كائن صيفي لا تقابلونه إلا في القبط ، وتقابلونه قليلاً جداً في الشتاء .. وأنا أعشق الشتاء بحق ..

اليوم لن أثير كثيراً .. إن هذه الصفحات تغري بأن أتفلسف وأفرض عليكم آرائي في الحياة فرضاً .. طبعاً ليس هذا بالوقت المناسب ولا المكان المناسب ..

الخطاب الأول اليوم من ..

• الصديق إبراهيم حسن محمود - الجيزة :

أرسل ثلاثة خطابات ، لكنى لست واثقاً من وصولها .. سأردّ على هذا الآن مادام فى يدى .. الخطاب كتبه وهو ينتظر بطاقة الترشيح لجامعة الأزهر .

(إبراهيم) مثالى جداً لا يشعر بالقدرة على التأقلم مع المجتمع ، ليس لأسباب عامة ولكن لموقف غريب حدث من صديق طفولته العزيز .. فجأة تغير وصار ميالاً للنأى عنه .. ويتهمة بأشياء لم تحدث . لا أدرى يا (إبراهيم) .. أعتقد أن القصة ليست بهذه البساطة .. وبالتأكيد هناك أمور لم تحك عنها ، وإلا فإن صديقك قد أصيب بالجنون فجأة .. راجع نفسك وتذكر ..

قصيدة الشعر لا بأس بها كبداية ، لكنك شديد القسوة على اللغة العربية إلى حد ذبحها ذبحاً ..

أنت رجل أزهرى والمفترض أن ترفق بها كما
يرفق الصائغ بقطعة من اللؤلؤ ..

أرسل لى بآخر الأخبار ..

بعد هذا نجد خطاب ..

• الصديقة / ريما سالم عمر - جدة :

خطاب رقيق من (ريما) .. تسألنى فى
نهايته أن أذكر تاريخ الرد على خطابها ..

التاريخ هو إبريل ٢٠٠٠ يا (ريما) ولن أذكر
تاريخ خطابك أنت !

تسألنى (ريما) لماذا لم أتزوج (ماجى) ؟
« كيف تستطيع العيش ومن تحبها بعيدة عنك
وليست ملكاً لك أبداً ؟ »

أقول إن الرد موجود فى الكتيب (٣١) صفحة
(١٤١) .. ولا أقدر على قول ما هو أفضل ..
وأشكر على كلماتك الرقيقة بصدد شكل الرجل ،

لكن من قال إننى متضايق لقبحي ؟ لقد اكتفيت
- ورضيت - بأن أكون عقلاً ، وتركت الجمال للأخ
(توم كروز) وأمثاله من زمن .. فهنيئاً لهم ..

• الصديق / إبراهيم حسن محمد ..

من جديد ؟ هذا خطابك الثانى يا (إبراهيم)
ويا لها من مصادفة .. تتحدث فيه عن نفسك أكثر
وهواياتك ، وتكتب عبارات بالألمانية والعبرية ..
ثم تبدى رأيك فى الأربعين كتيباً حتى لحظة كتابة
الخطاب ، وهى آراء مهمة أشكرك عليها كثيراً ..

• الصديقة / آمال محمود - الإسكندرية :

(آمال) طالبة فى كلية آداب الإسكندرية ..
بدأت خطابها بقصيدة (أنشودة المطر) للشاعر
العظيم (بدر شاكر السياب) .. قصيدة مرهفة
حزينة ككل ما كتب هذا المبدع العراقى الذى ولد
عام ١٩٢٦ .. أصدر مجموعته الأولى (أزهار
ذابلة) من القاهرة لأنه كان منفياً بسبب (طول

لساته) ، وكل الشعراء طويلو اللسان إذا كانوا
صادقين .. وقد وهب الشعر لغة جديدة وعالمًا
جديدًا لا ينسى برغم سواده وقسوته ، وقد توفى
بالدرن عام ١٩٦٤ بعد معاناة طالت مع المرض ..

نعم قرأت القصيدة من قبل يا (آمال) .. ربما
منذ عشرة أعوام .. لكنى أشكرك إذ ذكرتني بها .

خطابك ملئ بالمديح الذى لا أستحقه ، والذى
يشعرنى بمسئولية فادحة . تحياتى إلى (دعاء)
(كريمة) و (أميرة) بنات عمك ، و (نعمة)
(سارة) صديقتيك . بعض الأسماء التى طلبتها
لم يطلب أصحابها صراحة إخبار أحد بغاوينهم .
تضمن صوتك إلى المؤمنين بـ (ناجى على
الشيبانى) من اليمن ، وبهذا صار عندى نحو
خمسین يؤمنون به .. وإننى لأحسده حقًا !

ألف شكر من جديد .. وبانتظار المزيد .

بعد هذا يوجد خطاب ..

• الصديقة / حنان إسماعيل أبو العلا - القاهرة :

تقول (حنان) إن أناسًا كثيرين يحسبونها أختي بسبب تشابه الطباع والاسم الثانى .. الحقيقة أن اسمى الكامل هو (رفعت إسماعيل عبد الحفيظ) .

(حنان) طالبة فى كلية الآثار تتهمنى ببعض الردود الفظة على القراء ، مع بعض (التظرف) ، مثال ردى على الصديق الذى كتب اسمه سداسيًّا بـ (أطل الله فى اسمه) .. لا أدرى يا (حنان) .. أعتقد أننى لم أكن خشنًا ، وأحسبه فهم الدعابة ، وعلى كل حال تصلنى - من حينها - أسماء سداسية وسباعية كثيرًا جدًّا طلبًا لدعابة مماثلة .. لكن من المستحيل على السمج أن يعرف أنه كذلك ، والقراء هم الحكم بيننا .. ربما كنت كما تقولين دون قصد منى ..

تريدين دليلاً ملموساً على كون (رفعت
إسماعيل) حقيقياً وليس وليد خيال المؤلف ..

لا أدري - من جديد - كيف أثبت هذا ..

قبلت عضويتك فى نادى (كارهى أسطورة
الغرباء) ، وعزائى الحارّ على وفاة العنزة
التي كنت تحبينها كثيراً ..

• الصديقة / منة الله أحمد جعفر - الجيزة :

خطاب بالإنجليزية كتبته (منة) لأنها تفضل
الإنجليزية على العربية ! ولكن كيف تفكرين
يا (منة) ؟ وكيف تصيحين إذا فوجئت ؟ بل
كيف تشتمين إذا غضبت ؟ بالتأكيد بالعربية ..
لغة المرء الأم هى التى يفكر بها ، وبالتالي هى
أيسر منالاً فى الكتابة والكلام ..

تقول (منة) إن التشابه قوى بينى وبين
(علاء عبد العظيم) و(عبير) .. فكلهم :

١ - أشخاص طبيعيون بلا مواهب .

٢ - كلهم يرغب فى الاختلاف والهروب
(من حياته - من واقعه - من مشاكله) .

٣ - كلهم يعتمد على عالم المؤلف ككاتب وطبيب .

هذا طبيعى يا (منة) .. ولو كان (علاء)
مهندسًا لامتلات السلسلة بالأخطاء العلمية
والفنية .. كما أئننى لا أصلح لاعب كرة ، لأن
المؤلف لا يعرف عنها إلا أن (الخطيب) أفضل
لاعب فى نادى (الترسانة) ! كل كاتب لا يتحدث
إلا عن العوالم التى يعرفها ويألفها ..

الأستاذ (إسماعيل دياب) لا يرسمنى قبيحًا ،
بل هو يرسمنى أجمل ! وهذه هى المشكلة ..

• الصديق / على القطب سليمان - شبين الكوم :

(على القطب) طالب بطب طنطا أرسل خطابًا
رشيقًا يتكون من عدة فقرات ، لخص كل فقرة
بسطر ساخر فى بدايتها .. الخطاب يحمل الكثير
من المديح الرقيق، ويحمل هجومًا على
(سافارى) سيرد (علاء) عليه هناك ..

الحقيقة أننى لم أر أساطير (إفريقيا)
و (الكاريبي) فى كتب معينة لها اسم ، ولكن
متفرقة فى دوائر المعارف ، أو فى مقالات بمجلات
أو صحف .. وقد كنت أرشيفاً لأبأس به .. من
يدرى ؟ ربما أمزج كل هذا فى خليط واحد يوماً ما ..
سيكون كتاباً من القطع المتوسط له غلاف صقيل
جذاب ، ولن يقل عدد صفحاته عن ثلاثمائة
صفحة .. متى أفلها ؟ لا أدري طبعاً ..

• الصديق / أحمد محمد طه محمد حسن -
الإسكندرية :

(أحمد) طالب بكلية الهندسة جامعة (....)
- ليست الإسكندرية - يقول إن فارق السن بيننا
ليس مشكلة ، لأنه سيكون فى نفس عمرى بعد
ستين عاماً ..

لـ (أحمد) عادة عجيبة بعض الشيء ، هى أنه
يبدأ الخطاب من البداية فى كل صفحة جديدة ..

أى أنه بدأ الخطاب خمس مرات .. أرفق مع
الخطاب رسماً يظهرنى وسط الغيلان والمسوخ
كالعادة ، ورسم نفسه وسط المسوخ ..

(الأرينالين) أو (الإينفرين) - الاسم الأخير أدق -
هو هرمون يفرز من الغدة فوق الكلوية (إيبى
مغاها فوق) وهو مسئول عن كل نشاطنا
السمبثاوى الذى يظهر فى ذروته وقت الخطر
أو التوتر .. باختصار هو يصل بجسدك إلى ذروة
قدراته ، لكنه لا يتجاوزها لو كنت تفهم ما أعنيه ..

الشدة العضلى هو تقلص مؤلم فى العضلات نتيجة
لنقص الأكسجين الواصل لها أو نقص الكالسيوم ..
ولا أعتقد أن السكريات تقى منه كما تقول ..

شكراً يا (أحمد) وبانتظار خطابات أخرى ..

• الصديق / خالد عربى حسنى عرفة - شببرا :

أشكر ردى على خطابك قبل فوز منتخبنا فى كرة
القدم بكأس العالم ، وهو الموعد الذى توقعته أنت ..

كلا .. لا أعتقد أن (خلف الباب المغلق)
خلت من الرعب على الإطلاق ..

لكنه رعب المجهول وليس رعباً سافراً واضح
المعالم .. كل حلقات الرعب لا يبدأ عنوانها
بكلمة (أسطورة) على سبيل التفرد وإظهار
أنها مختلفة .. فقط كتبت الكلمة بسبب خطأ
مطبعى على غلاف الحلقة الثالثة (بعد منتصف
الليل) ، وقد ضايقتنى هذا كثيراً وقتها ، لأن
العنوان بدا لى سخيلاً ..

ستكون لى مغامرة مع مثلث (برمودا)
وسأحكى عنه بالتفصيل .. فانتظر ذلك الكتيب ..

استكمل (خالد) قصة الغرباء لى ، وكان
ما اقترحه هو أن يتدخل الكاهن الأخير (هن -
تشو - كان) لإنقاذى منهم .. ثم .. هوب ! أجد
نفسى فى وطنى بعيداً عن (سويسرا) ..
سبب استكمالها للقصة هو أنه من أعضاء نادى
(كارهى أسطورة الغرباء) ، وهوناد أنشأته

أنا ، ولا مزايا لعضويته سوى جعلى أعرف أنكم
لا تطيقون - أو أكثركم - أسلوب (الإله من الآلة)
الإغريقى القديم ..

الإله من الآلة Dieux a machine هو حلّ قديم كان
يلجأ له كتاب المسرح اليونانى حين تتعقد
الأمور وتتشابك الشخصيات .. عندئذ كان يدخل
المسرح ممثل فى قفص يتدلى من (ونش) .. هذا
الممثل يؤدي دور أحد آلهة اليونان القدامى ، وكان
- فى دقائق - يصدر أوامره السحرية : أنت تصطحح
مع صديقك .. أنت تعتذر للحاكم .. أنت تتوب عن
ذنوبك ! ، وهكذا تنتهى عقدة المسرحية فى ثوان ..

لقد انتهى التقليد بصورته الحرفية ، لكنه خطأ
درامى يتكرر فى أفلامنا العربية حين يكره الناس
بعضهم إلى درجة القتل ، ثم - من دون مبرر -
يتوبون ويحبون بعضهم إلى درجة البكاء ..
صيغة الإفاقة من حلم هى نوع آخر من (الإله

داخل الآلة) ، وهى خطأ درامى شائع لا أدرى لماذا يرتكبه البعض (!!) .. وأنت ترى يا (خالد) أن الحل الذى اقترحتة أنت ليس أفضل من الحلم ..

باختصار - والكلام سهل دائماً - حلّ عقدة الدراما يجب أن يكون مقبولاً مستساغاً لدى المشاهدين ، ويجب أن تحمله الشخصيات والأحداث فى جذورها من البداية . فى عالم الواقع قد تنتهى المشكلة لو سقطت الشرفة على الشرير ، لكن تقديم هذا فى دراما مستحيل التصديق ..

تحياتى لك ولـ (سارة) ولـ (رشا) و(وليد حلمى قنديل) و (وائل إبراهيم) و(حسام أحمد) و(عمرو أحمد) ..

بعد هذا خطاب ..

• الصديق / أحمد ناجى أحمد حجازى - المنصورة :

خطاب جديد جداً ، يبدو أنه هوى إلى قاع الصندوق لسبب ما .. على كل حال سأردّ عليه الآن ..

ثمة معلومات فى الخطاب سأنشرها فى كتيب خاص بتصحیحات القراء ، أما عن فكرة اشتراك كل كتاب المؤسسة فى كتيب واحد خاص ، فهى فكرة جيدة بالفعل .. المشكلة هى أن المؤسسة لا تحتفل بمناسبات ما مثل اليوبيل الفضى أو الكتيب الألف .. إلخ ، وإلا كان هذا الكتيب مناسباً جداً وقتها .. سأنقلها إلى المدير على كل حال ..

الأساطير العبرية لا اعتراض عليها .. لا أرى فى هذا شيئاً مريباً ، لكنى لا أعرف عنها الكثير إلا أسطورة (إيليث) ، وهى تعود بنا لعالم مصاصى الدماء على كل حال ..

بالطبع لم أتجاهل حضارة أمريكا الجنوبية .. إن لها مذاقاً ساحراً متفرداً ، لكن الوقت لم يأت بعد ..

• الصديقة / إيناس عبد الشافى - القاهرة :

خطاب حديث آخر .. ماذا حدث لى ؟

بالطبع ليس نص الكلمات السبع حقيقياً .. لست مجنوناً حتى أنشره كى يجربه الجميع !

تقول لى (إيناس) فى خطابها القصير جداً
إن لفظة Slogan معناها هو : صرخة حرب -
شعار .. أشكرها على هذه المعلومة التى لم
أجدها قط .. وهكذا فإن Slogan معناها شعار ..
وأحياناً يستعملونها بمعنى (عبارة دعائية) ..

• الصديقة / هناء كامل - (بصراحة لم أجد
المظروف) :

تقول (هناء) إنه لا يهمها أن أرد ، وكفاها
أن أسمعها .. سأسمعك وأرد يا (هناء) .. ثم
تتكلم عن صديقتنا اليمنى (ناجى الشيباتى) فتقول :
« إن الآخرين يريدون لك دوماً أشياء لا تريدها
لنفسك .. لكن عينيك هما أفضل عينين يمكن أن
ترى بهما .. » .. وتقول إنها تؤمن به هى
الأخرى ، وإن ثقته بنفسه كفيلاً بأن تجعل العالم
كله يثق به ..

(هناء) أرسلت الخطاب وهى فى لحظة اختيار

بين كليات ثلاث : تجارة أو تربية أو حقوق ..
وهى رغبات أبيها وأمها وهى بالترتيب .. لكنها
واثقة من أن موهبتها لادراستها هى ما سيحدد
مستقبلها .. إنها أديبة ، وتتمنى أن تلقى من
يبتسم فى حكمة ويقول لها : استمرى .. أنت
تتحسنين !

بالطبع سأقوم بهذا الدور يا (هناء) .. أرسلنى
لى أعمالك وسأقول لك فى حكمة : استمرى ..
أنت تتحسنين ..

أنهت خطابها على طريقة تشويق المسلسلات
(كليف هانجر) الشهيرة ، وأخبرتني أنها ذاهبة
الآن لترى النتيجة !

إن ما موضوع الاختيار بين كلية وأخرى ؟
على كل حال أرجو أن يحمل الخطاب القادم
أنباء أفضل ..

بعد هذا خطاب ..

• وسام محمد ناصف - القاهرة :

(وسام) رجل طبعًا وليس فتاة .. ظننت هذا واضحًا من الاسم ..

خطاب جميل الشكل كتب كله بينط Tahoma الذى أحبه بشكل خاص .. والغريب أننى رددت على خطاب آخر من (وسام) فى الكتيب السابق ، لكن هذه الصفحة من الملزمة لم تُنشر .. وكان ردًا لطيفًا والله العظيم ..

يتمنى (وسام) أمنية رقيقة هى أن يحرق ثلاثة أرباع المجتمع ، تاركًا الربع الذى يحوى أمثال (أحمد كمال الوكيل) وسواه ..

إن (وسام) يعانى من حالة اغتراب بالغة .. فى طفولته كان بعيدًا عن مصر وعن الأصدقاء المعتادين .. وعاد لمصر فكانت المعادلة المحتومة : طفل نكى متفرد لا يصادق أحدًا ، ويقرأ طيلة الوقت ..

له صديقان (على) و (هشام) .. الأول شعره بين
الأصفر والأحمر .. الثانى لون شعره أصفر مسوداً !
هذه صفات ما زلت أذكرها من الخطاب الأول !

طبعاً يشعر (وسام) بحالة إحباط بالغة من
تفاهة المجتمع وبلاهة من يلقاهم وافتقارهم إلى
الثقافة .. من يحسب كتاب (خمس سنوات فى
بيت من زجاج) قصة ، ومن يحسب قصة
(عائشة) لـ (رايدار هجارد) تتحدث عن ابنة
خالته .. الواقع يا (وسام) أن السوقية تسود
وتتصر يوماً بعد يوم ؛ والمشكلة هى أن صوتها
أعلى دائماً ، بينما الثقافة والرقى والتهذيب لهم
صوت خفيض هامس .. لهذا أقول إننا يجب أن
نتماسك ونجد بعضنا فى العاصفة ..

- أنا لا أعيش حلقة رعب كلما مرت عشرة
كثيبات .. من قال هذا ؟ ليس لحلقات الرعب ذات
التسلسل الزمنى للأساطير ، ولهذا السبب لا يسبق

عنوانها كلمة (أسطورة) .. ربما حدثت (وراء الباب المغلق) قبل أو بعد الأساطير التي تقرأها الآن ، ولربما حدثت حلقة الرعب الخامسة من زمن قبل الحلقة الرابعة ..

- خطابك ممتعان بالغاً الموهبة الأدبية ،
ولسوف أردّ على الخطاب الأول كما يستحق
فيما بعد .. وثمة أجزاء سأردّ عليها في
(سافارى) و (فانتازيا) ..

• الصديقة / هلا كمال محمد - الزقازيق :
يا هلا ! (ولو أنها دعابة سخيفة تسمعينها بالطبع
مليون مرة يومياً) .. إنها الآن طالبة طب جعلتها
الدراسة المرهقة ورائحة (الفورمالين) تهرب إلى
عوالم الخيال والرومانسية .. إن رائحة (الفورمالين)
لا خلاص منها إلا برائحة الفشل الكبدى !
ستعرفين هذا فى السنة الرابعة .. صدقيني ..
خطاب رقيق جداً من (هلا) ، تقول فى مقطع

منه : « أنت تعرف ياد . (رفعت) مدى تأثير
الإنسان بما يقرؤه .. وكلما تنوعت الأثواب وزادت
قدرة المرء على قطع ما يلائمه منها ، والتنسيق
بين الأجزاء المقتطعة ؛ حصل فى النهاية على
ثوب متفرد من مئات القطع الجميلة .. »

أوافقك تمامًا .. لكن مثال (الثوب المرقع)
ليس أفضل مثال يدلّ على كلامك .. أحب
التفكير فى الأمر كعصير الليمون .. تأخذين
السكر من كتابات العرب ، والليمون من كتابات
الروس ، والماء من كتابات الغربيين .. فى
النهاية أنت تصنعين (ليمونادة) متفردة فى
مذاقها ، يعجز المرء عن فصل الماء عن السكر
عن الليمون ، ويستحيل نسبة تعبير معين لكاتب
بعينه .. لاحظى أن الكوب من عنديااتك أنت ..

أسلوبك جميل راق ، ولا يشبه أسلوبى فى
شئ لو كانت هذه النقطة تقلقك .. لن أشير

إلى الموضوع الذى تطلبين عدم الإشارة إليه ،
وإن كنت لم أتلّق خطابك السابق حتى الآن ..

لم تظهر صورتى فى الكتيبات الأولى على
الغلاف ، لأن الأستاذ (إسماعيل دياب) لم يكن
قد كوّن فكرة عن شكلى بعد .. بل إنه -
المسكين - رسمنى وسيماً فى الكتيب الأول ، ثم
بدأ يفهم الحقيقة المريعة ..

ملحوظتك عن (روايات عالمية للجيب)
وصلت إلى المؤلف ، وهو يعدك بمحاولة تنويع
مصادر القصص .. لكن اللغة مشكلة حقيقية ،
بمعنى أنه لى يترجم قصة عن الإسبانية لا بد
أن يجدها مترجمة بالإنجليزية أولاً ..

تقولين إن (جزيرة الدكتور مورو) قد قدمت
فى التسعينات من بطولة (مارلون براندو) ..
هذه معلومة جديدة عليه وعلى ..

بانتظار خطابات منتظمة رائعة كهذا الخطاب .

الآن وصلنا إلى نهاية ملزمة الردود ، التي
أتمنى أن تُنشر كاملة وإلى لقاء آخر معكم فى
الكتيب القادم إن شاء الله .

د . رفعت إسماعيل

عنوان المؤسسة هو ..

المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع

٨ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية الرقم البريدى ١١٣٨١

رقم الإيداع : ١٦٠٦